



وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس – مستغانم

كلية الأدب العربي و الفنون

قسم الدراسات الأدبية و النقدية

تخصص الدراسات الأدبية المقرنة

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر الموسومة بـ :

التصوف الإسلامي الجزائري بعيون "إيزابيل ابرها ردت"

إعداد الطالبة:

عيواز أنيسة

إشراف الأستاذة:

"مسعودي فاطمة الزهراء"

السنة الجامعية: 2016-2017

الإهـــــداء

إلى الذي سقاني من أخلاقه وزودني من آدابه

أعظم الرجال، أبــي

إلى من كانت أناملها شموعا أنارت دروب حياتي

أمــي

إلى إخوتي : عبد الحفيظ، زوليخة، نور الدين، يوسف

إلى كل زملائي و زميلاتي -قسم الدراسات الأدبية المقارنة-

إلى من لا تكون الحياة حياة بدونهم "صديقاتي" كل واحدة باسمها

إلى كل عزيز و غالي في القلب لم يذكره اللسان

كلمة شكر

قال عز وجل :

"وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ"

"سورة النمل: الآية 19"

نشكر الله العلي القدير على النعمة التي أنعم بها علينا والذي قدرنا على أن نصل إلى هذا المستوى من العلم والمعرفة.

أشكر الأستاذة المشرفة التي رافقتني البحث، وجنبته الكثير من المزالق "مسعودي فاطمة الزهراء "

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر لجميع أساتذة قسم الدراسات الأدبية المقارنة – كلية الأدب العربي والفنون – جامعة عبد الحميد ابن باديس - مستغانم- .

و أشكر جميع من ساهم من قريب أو من بعيد في إتمام هذا العمل.

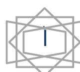
مقـــدمـــة

مد لله ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يظلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم.

أما بعد، فقد امتن الله على هذه الأمة بنعم كثيرة دون سواها من الأمم، ومن أعظم هذه النعم إكمال الدين قال تعالى : " الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا" (المائدة الآية3)، فهذه من أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة حيث أكمل لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه.

إن دراسة التصوف الإسلامي بشكل عام من الدراسات المهمة والضرورية في مجال الفكر التاريخي ولا ريب في ذلك فالتصوف يرتقي إلى أعلى مراتب الفكر الإنساني وأرقاها، فالمتصوف عادة لا يحمل فكرا عاديا كباقي الناس، ولا ينظر إلى الأشياء المادية نظرة عادية، ولذلك كان للمتصوفة أثرا كبيرا في الحياة الإسلامية، بل وتعدّى ذلك ليشمل الحياة الإنسانية عموما من خلال أفكار ونظريات وإسهامات أولئك المتصوفة المسلمين.

لقد كان للمهتمين الغربيين اهتمام خاص بالتصوف الإسلامي وأعلامه، وصاحب هذا الاهتمام انبهار وإعجاب (قلما نجده في أقلامهم صوب الإسلام وأعلامه)، وكانت الفتاة النمساوية ذات الأصول الروسية "إيزابيل ابرها ردت" المتصوفة من أبرز الرحالة الأوروبيين، عشقت الجزائر وأهلها بكل جوارحها، واعتنقت الدين الإسلامي وانضمت إلى الصوفية وانتمت إلى الطريقة القادرية، أثارت شخصيتها جدلا كبيرا في فترة حياتها وحتى بعد مماتها، لقد نالت اهتمام بالغ من الكتاب المؤرخين الأوروبيين، فعكفوا على دراسة كتابها وتحليل شخصيتها، ولم يخفوا إعجابهم الشديد بها، لذلك ارتأينا أن نجعل منها أنموذجا لبحثنا الذي وضعناه تحت عنوان "التصوف الإسلامي الجزائري بعيون إيزابيل ابرها ردت".



تمحور إشكالية دراستي تساؤل رئي مفاده ما هو التصوف ؟ وما هي أصوله؟ وأهم الطرق المنتشرة بالجزائر وأبرز فروعها؟ والأهم ما الذي دفع فتاة أرستقراطية من جنيف كي تدير ظهرها إلى الحضارة الغربية كي تلج دروب مغامرة لا تعود منها في قلب التصوف الإسلامي ؟.

تعود أسباب اختياري للموضوع أولا رغبتي في البحث في معتقدات وممارسات الصوفيين الجزائريين، أما عن "إيزابيل ابرها ردت" إرادتي في الكشف عن حقيقتها على غرار نيلها مكانة في تاريخ الاستعمار نظير وقوفها في صف "الأهالي" حتى بلغ بها الأمر إعتناق دينهم، وتحولها إلى الصوفية وحتى إنظمامها للطريقة القادرية.

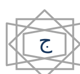
ولمتابعة هذا البحث مهدت دراستي المتواضعة هذه بـ"مدخل" مقتضب تناول تحديد مفهوم التصوف من حيث الاشتقاق اللغوي وكذا الاصطلاحي في التراث العربي الإسلامي، ليأتي بعد ذلك "الفصل الأول" الذي خصصته لعرض التصوف الإسلامي الجزائري باعتباره جزء من مجتمع المغرب الإسلامي وما ارتبط به على مر التاريخ من مؤسسات دينية كالمساجد والرابطات والأوقاف والزوايا ثم التطرق لأهم الطرق الصوفية التي عرفها المجتمع الجزائري والتي انتشرت فيه بشكل واسع مع ذكر أعلامها الذين كان لهم الفضل في تأسيسها.

أما الفصل الثاني فهو تطبيقي" إيزابيل والتصوف الجزائري" وهو غاية البحث ومنتهاه، خصصته بتعريف "إيزابيل ابرها ردت" ومن تكون هذه المرأة التي نالت حظا وافرا من الإعجاب لدى المفكرين، كما نالت الحظ الأوفر من الشك والريبة في حقيقتها، إذ أفردت عنصر آخر حاولت جمع بعض مقتطفات من أعمل "إيزابيل" مترجمة وأصلية، للانتقال إلى أهم نقطة تجليات التصوف في أعمالها، حيث طالعتني صورة في غاية الحكم والصوفية مما جعلني أصاب بإنقياض نفسي لدى فراغي من تتبع رحلاتها وكتباتها.



لا يدعي هذا البحث أنه وفى كل الجوانب حقها فهو مجموعة مبتدئة، وعمل بشري شابته ولا شك شوائب نقص كثيرة، سواء في ذلك ما تعلق بالخطة أو المنهج الذي كان فيه تضافر مناهج من قبيل المنهج التاريخي والوصفي والتحليلي.

ولو أني استقبلت من أمر البحث ما استدبرت لكانت الخطة غير هذه ولو كان المنهج غير هذا، أما وقد انتهيت به إلى غايته، فلا يفوتان أمران : أولهما أن أشير إلى ما اعترضني من صعاب، فالمراجع بالعربية والفرنسية نادرة دونها الترجمة مما لم يتسن لي الإلمام واضطررت إلى الترجمة الشخصية لإثراء بحثي، اعتمدت في هذا العمل على بعض الكتب التي كتبها أشخاص بدون أسلوب أكاديمي، هذا إلى جانب مراجع متنوعة نذكر منها : كتاب صلاح مؤيد العقبي (الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر) وكتاب (نشأة المرابطين) لمختار فيلالي، وكتب أبو قاسم سعد الله ويحي أبو عزيز، وكتاب لويس رين (المرابطين والإخوان) وكتاب بودواد عمير (ياسمينة وقصص أخرى)، وكتاب حسن دواسي (نجيب اللوز)، وكتاب عبد القادر ميهي (الطريق إلى القناسة)، إلى جانب بعض المجلات والرسائل الجامعية فكان أهمها رسالة بوغديري كمال(الطرق الصوفية في الجزائر الطريقة التيجانية أنموذجا)، كما أدرجت بعض الملاحق، فيها صور للرحالة "ايزابيل" وبعض الزوايا، أما ثاني ما أنا حريصة على تسجيله، فتوجهي بالشكر لكل من مدّ يد العون وساعدني على بلوغ غايتي ولو بالتشجيع، وأخص بالذكر هنا أستاذتي المشرفة "مسعودي فاطمة الزهراء"، التي أفادتني بتوجيهاتها القيمة، وجنبتني المزالق البحثية ، كما لا يفوتوني التنويه بالكاتب "بودواد عمير" الذي راسلني شخصيا بكل تواضع وأمدني بالوثائق التي كانت روافد لهذا البحث، وأصدقائي وزملاء الدراسة "قسم دراسات أدبية مقارنة" دون أن أنسى إخوتي، "عبد الحفيظ، زوليخة، نور الدين، ويوسف" وإذا كان شكر كل هؤلاء في كفة، فإن شكر أعز وأغلى البشر عندي في كفة أخرى "أمي وأبي" خير سند لي في الحياة.



مدخل نظـري

مفهوم التصوف ونشأته

- 1 تعريف التصوف

- أ - لغة

-ب اصطلاحا.

- 2 نشأة التصوف الإسلامي.

1- مفهوم التصوف :

في البداية يجب الاشارة إلى الفرق بين الصوفية كطريقة وبين التصوف كمنهج قائم في مضمونه على التفقه في الدين والعمل بأحكامه وقواعد الإسلام، أما الطريقة فهي التطبيق العملي لذلك العلم ولأركان الدين الاسلامي.[1]

- إن التصوف الإسلامي واحد من الموضوعات الهامة التي تتطلب جهدا كبيرا للفصل بين كل ما فيه من مصطلحات ومفاهيم باعتبار حقيقتهِ ايثار وحقيقة فهو الاتجاه المعنوي أو الحياة الروحية أو مجموع المعاني السامية في النفس والوجدان والأثمار الروحية للوحي القرآني ورسالة النبوة المحمدية الروحية.[2]

قبل أن نعرف التصوف في اللغة والاصطلاح نريد أن نتعرف أولا من أين اشتقت كلمة (التصوف)أو كلمة (صوفي)، رغم اجتهاد الباحثين سواء من الصوفية أو غيرهم لم يعرف له مصدر محدد، ولكنهم ذكروا عدة آراء لتحديد المعنى الذي قد تكون مشتقه منه.

الرأي الأول : نسبوا كلمة (التصوف) إلى الصفاء، وقد ردّ هذه النسبة القشيري،[3] والكلابذي[4].

الرأي الثاني : ان تكون منسوبة إلى الصفة نسبة إلى أهل الصفة الذين كانوا يقعدون في مؤخرة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم.[5]

---

[1]سراج جيلالي، زيارة الأضرحة وأثرها في المعتقدات الشعبية "ضريح سيدي يوسف الشريف نموذجا"، رسالة ماجيستير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة تلمسان، الجزائر، 2014.2015، ص48.

[2]صهيب سعران، مقدمة في التصوف، دار المعرفة،ط1، دمشق، 1989، ص9.

[3]أبو القاسم عبد الكريم ابن هوازن القشيري، لرسالة القشيرية، تحقيق أحمد هاشم السلمي، دار الكتب العلمية، د ط، بيروت لبنان، 2013، ص239.

[4]أبو محمد بن اسحاق الكلابذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق أحمد شمس الدين،دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993، ص8.

[5]عبد الرحمان دمشقية، أبو حامد الغزالي والتصوف، دار طيبة، الرياض، د ط، 1986، ص136.

الرأي الثالث : نسب التصوف إلى رجل يقال له "**صوفة**" و اسمه "**العوني بن مر**"، وإنما سمي صوفة لأن لامه نذرت لأن عاش لتعلقن برأسه صوفة ولتجعلنه ربيط الكعبة، فكان أول من تفرّد بخدمة بيت الله الحرام وانتسب إليه قوم في الجاهلية فسموا (صوفية) وقد انقطعوا إلى عز وجل وقطنوا الكعبة، فمن تشبه بهم فهو (الصوفية).[1]

فالمتصوفة ينتسبون إلى أناس من أهل الجاهلية لم يعرفوا الإسلام، وإذا صحت مثل هذه النسبة فإن القوم قد حكموا على أنفسهم بانهم ينتسبون إلى أقوام في الجاهلية.

الرأي الرابع : ان تكون نسبة هذه الكلمة إلى (**صوفانة**) وهي بقلة رعناء صغيرة، ونسبوا إليها لاكتفائهم بنبات الصحراء وهذا أيضا لا يصحّ لغويًا لأنه لو نسبوا إليها لقيل للواحد منهم (**صوفاني**).[2]

الرأي الخامس : أن تكون نسبة هذه الكلمة إلى الصوف، وقد ذهب إلى ذلك شيخ الاسلام ابن تميمة، وابن خلدون.[3]

بالمقارنة مع الرأي الأخير هو الراجح لأن القوم كانوا يلبسون الصوف كثيرا اقتدادًا برهبان النصارى وابتعدوا من الرفاهية والراحة الجسمية على الرغم من ان الاسلام لم يأمر بتعذيب الجسد ولا بلباس معين، بل الاسلام أباح لنا ان نأكل من الطيبات فقال الله تعالى :" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ"[4]، وقال عز وجل : " يَا بَنِي آَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ."[5]

---

[1] جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد الجوزي، تلبيس ابليس، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2001، ص163.
[2] المرجع نفسه، ص163.
[3] ابن تميمة، مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، المجلد الحادي عشر، 2004، ص6.
[4] سورة البقرة- الآية 172.
[5] سورة الأعراف- الآية 31.

2- تعريف التصوف :

أ- لغة :

قال ابن فارس :"(صوف) الصاد والواو والفاء أصل واحد صحيح، وهو الصوف المعروف، والباب كله يرجع إليه. يقال كبش أصْوَفُ وصَوفٌ وصَائِفٌ وصَافٌ، كل هذا ان يكون كثير الصُّوف ...فأمّا قولهم : صاف من الشر، إذا عدَلَ، فهو من باب الإبدال يقال صَابَ اذا مال".[1]

- وهذا المعنى - صاف بمعنى عدل – الذي رثه ابن فارس نجد من علماء اللغة من يصححه.

-قال ابن مظور :" وصافَ السهم عن الهدف يَصُوفُ و يَصِيفُ عدل عنه.... ومنه قولهم صافَ عني شَرُّ فلان وأصاف عني شرَّهُ".[2]

وجاء في معجم الوسيط :(صاف) الكبش صوفا ظهر عليه الصوف فهو صائف وكثر صوفه فهو أصوف وهي صوفاء.(تصوف) فلان صار من الصوفية. (التصوف) طريقة سلوكية قوامها التقشف والتحلي بالفضائل لتزكو النفس وتسمو الروح، (الصوف) الشعر يغطي جلد الضأن ويمتاز بدقته وطوله وتموجه، (الصوفة) القطعة من الصوف.

(الصوفي) من يتبع طريقة التصوف والعارف بالتصوف وأشهر الآراء في تسميته بذلك لأنه يفضل لبس الصوف تقشفا، (الصواف) بائع الصوف.[3]

-من خلال التعريفات اللغوية المتقدمة يتضح لنا أن أصل كلمة صوف يرجع إلى معنيين :الأول : الصوف المعروف للشاة ونحوها، والثاني : الميل والعدول، أو أنها ترجع إلى معنى واحد فقط وهو الصوف كما يرى ابن فارس.

---

[1] أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة ، دار الفكر، د ط، 1979، ص322.

[2] ابن مظور الأنصاري، لسان العرب، ت : عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعرفة، القاهرة، د ط، ص4.

[3] ابراهيم مصطفى أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، ت : مجمع اللغة العربية، مكتبة اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004، ص529.

ب- اصطلاحا :

يختلف العلماء والباحثين في هذا المجال اختلافا كثيرا ولا زالوا إلى يومنا هذا في تحديد أصل واشتقاق (التصوف) حتى تناقضت وتعارضت تعريفاتهم، فلقد ذكر "السراج الطوسي" أكثر من عشرين تعريف،[1] وأما القشري فقد ذكر في رسالته أكثر من خمسين تعريفا من الصوفية المتقدمين،[2] وقال السهرودي : "وأقوال المشايخ في ماهية التصوف تزيد على ألف قول".[3]

وقال معروف الكرخي : " التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق"[4]

وقال الجنيد : " التصوف أن تكون مع بلا علاقة".[5]وعرفه أيضا بما يلي فقال: " التصوف تصفية القلب على مواقفه البرية ومفارقة الأخلاق الطبيعية وإخماد الصفات البشرية ومجاينة الدواعي النفسانية ومنازلة الصفات الربانية والتعلق بعلوم الحقيقة وإتباع الرسول في الشريعة".[6] وحين سئل سمنون عن التصوف قال : "التصوف هو ان لا تملك شيئا ولا يملك شيء".[7]

- اذا نظرنا إلى التعريفات السابقة نرى ان أئمة التصوف قد عرفوا التصوف بتعاريف مختلفة، فمثلا (معروف الكرخي) قد عرفه بأن معنى التصوف هو الأخذ بالحقائق، كلمة الحقائق تحمل عدة وجوه ولا ندري ماذا يقصد بها ولعله في الغالب يقصد بها العلم الصوفي الذي يسمى بعلم الحقيقة .

---

[1]أبو نصر السراج الطوسي، اللمع، ت : عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة، مصر ، مكتبة المثنى، بغداد، 1970، ص45.

[2] القشيري، المرجع السابق، ص 475.

[3]أبو حفص عمر بن محمد السهرودي، عوارف المعارف، المكتبة العالمية، د ط، القاهرة، مصر، 1939، ص44.

[4]المرجع نفسه، ص 62.

[5]نفسه، ص نفسها

[6]أبو محمد بن إسحاق الكلاباذي، المرجع السابق، ص34.

[7]أبو نصر السراج الطوسي، المرجع السابق، ص15.

أما الجنيد فقد عرّفه بتعريفين، ففي التعريف الأول عرفه بأن معنى التصوف أن يكون الانسان مع الله عز وجل بلا علاقة ولعله يقصد على الانسان ان يقطع جميع علاقاته مع بني جنسه وهذه دعوة باطلة، فإننا لسنا ما مورين بالتخلي والانعزال عن البشر في الأربطة والخوانق والهروب الى الزوايا الصغيرة كما يفعل المتصوفة إلى يومنا هذا، أما في التعريف الثاني للجنيد فقد عرفه بأنه تصفية القلب عن مواقفه الخليقة والابتعاد عن الأخلاق الطبيعية التي فطر الانسان عليها والسعي للتخلص من الصفات البشرية وعدم إعطاء النفس حقها مما تطلبه وان يكون متعلقا بعلوم الحقيقة ويتبع الرسول - صلى عليه وسلم - في الشريعة وهذه كلها مخالفة لما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - من عند الله لأن الانسان بشر وسيظل بشرا مهما عبد الله عز وجل .

وسحنون قد عرّف التصوف بأنه التجرد من كل الأملاك والتحرر من أي أحد ان يملك، وفي الحقيقة فالصوفية في هذه التعريفات تظهر لنا عن معتقدات الصوفية التي يعتقدونها في قلوبهم ولم يقولوها هكذا جزافًا.

وفي هذا المقام قال ابن الجوزي حول تعريفات التصوف ومضمونها :

"وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه، وعبرّوا عن صفته بعبارات كثيرة، وحاصلها ان التصوف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برد مكن الأخلاق الرذيلة وحمله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدق..قال : وعلى هذا كان أوائل القوم، فلبس ابليس عليهم في أشياء، ثم لبس على من بعدهم من تا بعيهم، فكلما مضى قرون زاد طعمه في القرن الثاني فزاد تلبيسه عليهم إلى ان تمكن من المتأخرين نهاية التمكن"[1]

تعريف ابن الجوزي لمصطلح التصوف يقابل مفهوم التزكية في الشرع ولو أن الصوفية التزموا بالمصطلحات الشرعية، فسدوا بابا واسعا من أبواب البدعة ألا وهو باب

[1]جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد الجوزي، تلبيس ابليس، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط2001،1، ص147.

المصطلحات، ولكن هل التصوف ما هو الا عبارة عن التزكية للنفوس والقضية هي اختلاف مصطلحات؟

-التصوف عبارة عن طريقة في تزكية النفس، لكنها لا تتقيد بالشرع لا في وسائلها ولا في مفاهيمها التي يؤمن بها الصوفي في سلوكه، ولا في غايتها من هذه التزكية .

3- نشأة التصوف الإسلامي :

اختلف العلماء والباحثون في بدء ظهور هذه الكلمة واستعمالها كاختلافهم في أصله وتعريفه، فخلال القرنين الأولين ابتداءا من عهد رسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين حتى وفاة الحسن البصري، لم تعرف الصوفية سواء كان باسمها أو برسمها وسلوكها، بل كانت التسمية الجامعة : المسلمين المؤمنين، أو التسميات الخاصة مثل الصحابي البدري أصحاب البيعة، التابعي، ذكر ابن تيمية وسبقه ابن الجوزي وابن خلدون في هذا ان لفظ الصوفية لم يكن مشهورا في القرون الثلاثة الأولى وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك، وقد نقل التكلم به عن غير واحد من الأئمة والشيوخ كالإمام "أحمد بن حنبل" و"ابي سليمان الداراني" وغيرهما، وقد روي عن "سفيان الثوري" انه تكلم به ويعضهم بذكر ذلك عن "الحسن البصري".[1]

وقال سراج الطوسي في الباب الذي خصصه الرّد على من قال لم نسمع بذكر الصوفية في القديم وهو اسم مستحدث، يقول في هذا الباب : ان سأل سائل فقال : لم نسمع بذكر الصوفية في أصحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم- ورضي عنهم أجمعين- ولا فيمن كان بعدهم، ولا نعرف ألا العبّاد والزهاد والسياحين والفقراء، وما قيل لأحد من أصحاب الرسول –صلى الله عليه وسلم- :" صوفي فنقول، وبالله التوفيق"[2]

الصحبة مع رسول –صلى الله عليه وسلم- لها حرمته وتخصيص من شملت ذلك، فلا يجوز ان يعلق عليه اسم على أنه أشرف من الصحبة وذلك لشرف الرسول-صلى الله عليه وسلم- وحرمته، ألا نرى أنهم أئمة الزهاد والعباد والمتوكلين والفقراء والراضين

[1]ابن الجوزي، تلبيس ابليس ، المرجع السابق، ص157.
[2]الطوسي، المرجع السابق، ص516

الصابرين وغير ذلك، وما نالوا جميع ما نالوا الا ببركة الصحبة مع رسول الله -**صلى** عليه وسلم- فلما نسبوا الى الصحبة والتي هي أجل الاحوال استحال ان يفضلوا بفضيلته غير الصحبة التي هي اجل الاحوال.

- **أما قول القائل** : "انه اسم مستحدث أحدثه البغداديون " **فمحال لأن في وقت الحسن** البصري رحمه الله كان يعرف هذا الاسم، وكان الحسن قد ادرك جماعة من اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم، ورضي الله عنه وقد روي عنه أنه قال : رأيت صوفيا في الطواف فأعطيته شيئا فلم يأخذه وقال : "**معي أربعة** دوانيق يكفيني ما معي".

-وروي عن سفيان الثوري رحمة الله أنه قال : **لولا** "أبو هاشم الصوفي" ما عرفت دقيق الرياء، وقد ذكر الكتاب الذي جمع فيه أخبار مكة عن محمد بن اسحاق يسار، وعن غيره ينكر فيه حديثا :أنه قبل الاسلام قد خلت مكة في وقت من الأوقات حتى كان لا يطوف بالبيت احد، وكان يجيء من بلد بعيد رجل صوفي يطوف بالبيت وينصرف، فإن صحّ ذلك فإنه يدل على أنه قبل الاسلام كان يعرف هذا الاسم، وكان ينسب اليه أهل الفضل **والصلاح و اعلم.**[1]

ويمثل ذلك قال السهرودي : " وهذا الاسم لم يكن في زمن رسول -صلى الله عليه وسلم- وقيل : كان زمن التابعين، ثم نقل عن الحسن البصري وما نقلناه عن الطوسي ايضا، ثم **قال** :وقيل: لم يعرف هذا الاسم إلى المائتين من الهجرة العربية.[2]

وأما القشيري فقال :" اشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل **المائتين** من الهجرة.[3]

- الهويجيري ذكر ان التصوف كان موجودا في زمن الرسول -صلى الله عليه وسلم-**او** باسمه ، واستدل بحديث موضوع مكذوب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- انه

---

[1]الطوسي، المرجع نفسه، ص42، 43.
[2]السهرودي، المرجع السابق، ص63.
[3]القشيري، المرجع السابق، ص 53.

قال :" من يسمع صوت اهل التصوف فلا يؤمن على دعائهم كتب عند الله من الغافلين."[1] مع أنه نفسه كتب في نفس الباب في آخره شارحا كلام ابي الحسن البوشنجي " التصوف اليوم أصبح بلا حقيقة، وقد كان من قبل حقيقة بلا اسم "فكتب تحته موضحا" : يعني هذا الاسم لم يكن موجودا وقت الصحابة والسلف، وكان المعنى موجودا في كل منهم، والآن يوجد الاسم، ولا يوجد المعنى."[2] ويقول ابن خلدون في مقدمته :" وهذا العلم - يعني التصوف - من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وأصله طريقة هؤلاء القوم لم تنزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدمهم طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد في ما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق والخلوة للعباد، وكان ذلك عاما في الصحابة والسلف، فلما فشا الاقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس الى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية.[3]

ويعنينا من عبارة ابن خلدون الفقرة الاخيرة التي يقرر فيها ان ظهور التصوف والصوفية كان نتيجة جنوح الناس الى مخالطة الدنيا واهلها في القرن الثاني للهجرة فان ذلك من شأنه ان يتخذ المقبلون على العبادة اسما يميزهم عن عامة الناس الذين الهتهم الحياة الدنيا الفانية.

وأما المستشرقون الذين كتبوا عن التصوف، ويعدون من موالي الصوفية وأنصارهم، فمنهم "نيكلسون" فإنه يرى مثل ما يرى الجامي أن لفظة التصوف اطلقت أول ما اطلقت على ابي هاشم الكوفي المتوفي سنة150هـ،[4] ولكن المستشرق الفرنسي المشهور ما سينيون يرى غير ذلك، فيقول : " ورد لفظ الصوفي لأول مرة في التاريخ في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي إذ نعت به "جابر بن حيان"، وهو صاحب كيمياء شيعي من أهل الكوفة، له في الزهد مذهب خاص، وأبو هاشم الكوفي الصوفي المشهور.

---

[1] الهويجري، كشف المحجوب، دراسة وترجمة وتعليق، اسعاد عبد الهادي قنديل راجعه، د.أمين عبد المجيد بدوي، مكتبة الاسكندرية، د ط، مصر 1974، ص239.
[2] المرجع نفسه، ص239.
[3] مهيب سعران، المرجع السابق، ص329.
[4] نيكلسون في التصوف الإسلامي وتاريخه، ترجمة أبي العلاء العقيقي، د ط، القاهرة ، ص3.

-أما صيغة الجمع "الصوفية " التي ظهرت عام 189هـ (814م) في خبر فتنة قامت بالإسكندرية فكانت تدل قرابة ذلك العهد على مذهب من مذاهب التصوف الاسلامي يكاد يكون شيعيا نشأ في الكوفة، وكان "عبدك الصوفي" أئمته، وهو من القائلين بأن الامامة بالإرث والتعيين، وكان لا يأكل اللحم وتوفي ببغداد حوالي عام 210هـ،وإذن فكلمة "صوفي" كانت أول امرها مقصورة على الكوفة.[1]

وقال أيضا صاحب عزلة بغدادي، وهو أول من لقب بالصوفي، وكان هذا اللفظ يومئذ يدل على بعض زهاد الشيعة بالكوفة ، وقد يعد من الزنادقة بسبب امتناعه من أكل اللحم، ويريد الأستاذ أول من لقب بالصوفي في بغداد كما يؤخذ مما نقله عن الهمذاني ونصه :" ولم يكن السالكون لطرق الله في الاعصار السالفة والقرون الأولى يعرفون باسم المتصوفة، وانما الصوفي لفظ اشتهر في القرن الثالث وادل من سمي ببغداد بهذا الاسم عبدك الصوفي، وهو من كبار المشائخ وقدمائهم، وكان قبل بشر بن الحارث الحافي والسري بن المفلس الشعطي.[2]

- والجدير بالذكر أن هؤلاء الثلاثة يقال عنهم بأنهم أول من سمو بهذا الاسم، وتلقبوا بهذا اللقب مطعونون في مذاهبهم وعقائدهم ورمي كل واحد منهم بالفسق والفجور وحتى الزندقة، وخاصة جابر بن حيان.

- وقد سبق كلام شيخ الاسلام ابن تيمية حيث قال : " ان لفظ الصوفية لم يكن مشهورا في القرون الثلاثة وانما اشتهر التكلم به بعد ذلك.[3]

من هذه النصوص السابقة يتبين لنا أن التصوف ليس أمرا مستحدثا جديدا ولكنه مأخوذ من سيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وحياة أصحابه الكرام، كما انه ليس مستقى من أصول تمت الى الاسلام بصلة كما يزعم أعداء الاسلام من المشرقين وتلاميذهم الذين

---

[1]ما سنيون، مصطفى عبد الرزاق، التصوف، ترجمة، ابراهيم خورشيد، د. عبد الحليم يونس، حسن عثمان، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة،ط1، لبنان، 1984، ص55.56.

[2]مجموعة من المستشرقين، دائرة المعارف الإسلامية، (البريطانية)، ترجمة، أحمد الشنتاوي وابراهيم خورشيد، ج5، دار المعرفة، بيروت، ص266.

[3]ابن تيمية، الصوفية والفقراء، تحقيق محمد جميل غازي، مطبعة المدني، د ط، مصر، ص5.

ابتدعوا أسماء متكررة، فأطلقوا اسم التصوف على الرهبة البوذية، والكهانة النصرانية، والشعوذة الهندية فقالوا" هناك تصوف بوذي وهندي ونصراني وفارسي....."[1] يريدون بذلك تشويه اسم التصوف من جهة، واتهام التصوف بأنه يرجع في نشأته إلى هذه الأصول القديمةِ والفلسفات الضالة من جهة أخرى، ولكن الانسان المؤمن لا ينساق بتياراتهم الفكرية ولا يقع بأحاييلهم الماكرة، ويتبين الأمور ويثبت في البحث عن الحقيقة فيرى أن التصوف هو التطبيق العملي للإسلام، وأنه ليس هناك إلا التصوف الإسلامي فحسب.

[1] سهير محمد يوسف قاسم، الطرق الصوفية وتراثها في فلسطين(الخلوتية، النقشبندية، والعلاوية)، قسم برنامج الدراسات العربية المعاصرة، كلية الدراسات العليا، جامعة بيرزيت، فلسطين، 2006، 2005، ص43.

الفصل الأول

تاريخ التصوف الإسلامي الجزائري

1-التصوف والطرق الصوفية في المغرب الإسلامي

2-الطرق الصوفية في الجزائر وأعلامها.

3- نماذج الطرق الصوفية في الجزائر.

1 -. **التصوف والطرق الصوفية في المغرب الإسلامي :**

-يرجع بعض الباحثين والمستشرقين منهم خصوصا التصوف في المغرب الإسلامي إلى ابن مسرة الأندلسي*، صاحب تصوف فلسفي يعتقد بأنه أثر في جل من ظهر من متصوفة المسلمين في المغرب الإسلامي وخاصة مدرسة المرية الأندلسية موطن العديد من سالكي سبيل العرفان، من أمثال ابن العريف.[1] (ت537هـ) صاحب كتاب "محاسن المجالس" وغيره.[2] ومن بعده تلميذه "محي الدين بن عربي" و"أبو محمد عبد الحق بن سبعين"[3]في عهد دويلة الموحدين.

لقد لقي موضوع التصوف و ما يرتبط به في المغرب الإسلامي اهتمام المستشرقين حيث أعطوه العناية والاهتمام، فألفوا فيه الكتب، ووضعوا فيه المقالات المطولة في كبريات الجرائد والمجلات، ومنهم "ايفون توران-Yvonne Turn" و "كرافييه كبولاني-Xavier Coppolani" و "غوستاف لوبون-Gustave Le Ben" و "لويس رين-Louis Rinn" وغيرهم كثيرين.

---

*أبو عبد الله بن مسرة بن تجيح، ولد في7شوال 269هـ، تأثر بآراء المعتزلة، تعلم محمد علوم الدين والفلسفة اتخذ ابن مسرة لنفسه معتزلا في جبل قرطبة وأظهر نسكاو ورعا، وتجمع حوله المريدين، وافتتن به جماعة من أهل الأندلس، ولازموه، له آراء كلامية في القدر، وطبيعة الحسب الأخروي (الجنة والنار)، وخلق العلم، صفات الله، وثنائية العالم الالهي (عالم الغيب والشهادة)، لم يبق من مؤلفات ابن مسرة إلا رسالتان، الأولى "خواص الحروف وحقائقها وأصولها" والثانية "رسالة الاعتبار" ولهاتين الرسالتين نسخة خطية في مجموعة" تشستربتي في دبلن بألمانيا. توفي ابن مسرة في أول شوال 319هـ، وقد ظلت آراءه وأفكاره باقية ومنتشرة بعد وفاته.

[1] ابن العريف ، أبو عباس ، أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي ولد سنة 481هـ، بالماريا ذاع صيته في الزهد والعبادة، انتقل الى مراكش وتوفي بها سنة 536هـ، له كتاب محاسن المجالس طرح فيها الاصول طريقة صوفية جديدة أثرت في الشاذلية.

[2] ساعد خميسي ،تأثير أبي مدين في فكر وتصوف محي الدين بن عربي، منشورات جامعة منتوري ، قسنطينة، الجزائر، 2007.

[3] ابن سبعين :هو ابن محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن سبعين ولد بمرسية في الأندلس سنة614هـ، تلقى الصوفية على يد أبي إسحاق بن دحاق انتقل إلى سبتة تونس مجموعة من الموردين، أقام ببجاية ثم استقر بمكة توفي سنة 668هـ خلف العديد من المؤلفات، انظر :محمد بن شاكر الكلبي فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، ج2، دار الثقافة بيروت، 1974، ص235.253.

كما كتب المؤرخون كثيرا في هذا الموضوع خصوصا له في مؤلفاتهم أبوابا وفصولا ومنها كتاب" جيلالي مختار الطاهر" وأبو قاسم سعد .

ذلك أن هذا الموضوع يشكل حلقة هامة في تاريخ الجزائر الثقافي، غير أنه من وباعتراف الكثير من المؤرخين يصعب تحديد السنة التي انتقل فيها التصوف تحديدا دقيقا حيث انتقل إليها بشكل طبيعي كسائر الحركات المذهبية الأخرى من خوارج وشيعة أو تيارات فكرية "كالمعتزلة" و " الأشاعرة "و"الجبرية" وغيرها، فكل المذاهب والتيارات التي نشأت في المشرق العربي كان لهى صدى، وتجاوب معها المجتمع المغاربي.

- لكن عموما نجد أن كثيرا من المصادر التاريخية تشير إلى إن حركة التصوف في المغرب الإسلامي ظهرت حوالي القرنين 6 و7هـ/12 و13م.

التصوف ظاهرة تعد نتاج عوامل دينية واجتماعية وسياسية واقتصادية، تعود جذورها إلى القرن 3هـ /9م، حيث عرف المغرب الأوسط ظاهرة التصوف شأنه في ذلك شأن المشرق العربي نظرا للاحتكاك القائم بينهما.

من الظروف التي مهدت للتصوف في المغرب الإسلامي انتشار الزهد خاصة خلال القرن 08 إلى 11م/ القرن02الى 05هـ، وبرزت ملامحها الأولى بعد الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب، ومن أشهر زهاد ذلك ذكر الزمان "وهب بن منية" الذي استقر في تلمسان .

شهدت بعض مدن المغرب الإسلامي انتشارًا لحركة الزهد وهي في الوقت نفسه مراكز تجارة ومعابر للحركة التجارية بين المغرب والشرق وبلاد السودان مما جعل الناس يحولون اهتمامهم إلى جمع المال والثروة عموما فصارت هي معيار تقييم الأفراد وتحديد مراكزهم الاجتماعية، في المقابل نشأت أفكار تدعو إلى الزهد ان تعد هذه الأفكار أولى نفحات التصوف النسبي التي نادى بها المتصوفة ، ولعل أول ما يسترعى الانتباه في هذا الاتجاه الصوفي هو أن العارفين القائمين به السالكين فيه لم ينشأ بينهم وبين الفقهاء ذلك الصراع أو النزاع المشهور الذي أقدم في المشرق حيث سيق إلى المحاكمة وتمثل أمام قضاة بغداد متصوفة أمثال "ذو

النون" و"الحلاج" وغيرهما، إن شيئا من هذا لم يحدث إذ أن معظم العابدين الزهاد وأهل التصوف في المغرب الإسلامي في هذه الفترة، كانوا في الآن نفسه من المشتغلين بعلوم والعلوم العقلية والمسائل الفقهية جميعا.[1]

واستمر الحال على هذا النحو بوجه عام طوال القرون 9،8،7هـ، خلال حكم الدول الثلاث التي تقاسمت الشمال الإفريقي بعد حكم الموحدين وهذه المعايشة السلمية بين التصوف والعلوم العقلية من منطق انهمك أنّو يرونا أن ليس هناك ما يدعوا لتنافري بين علوم الباطن وعلوم الظاهر.[2]

وما يلاحظ أيضا أن التصوف في المغرب الإسلامي خلال هذه القرون لقي الدعم من الدويلات الثلاث (الحفصية، الزيانية، المرينية) ، لما وجدوا فيه من تقوية للجانب التعليمي كتحفيظ القرآن علوم الدين الاجتماعي كإعانة المحتاجين وأبناء السبيل مما شجع على بروز ظاهرة انتشار الطرق الصوفية كالقادرية والشاذلية ، غير ان التصوف خلال هذه الفترة بقي في النخبة ممن يملك رصيدا في علوم الدين والعلوم العقلية ، حيث احتوته المدن الكبرى التي عرفت نهضة علمية ومنها فاس وتلمسان ، وبجاية.[3]

مع بداية القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي، بدأت الحياة الروحية في المغرب الإسلامي يسودها الاضطراب نتيجة عوامل خارجية داخلية، الخارجية تمثلت في ضعف الدويلات الثلاث وتكالب الدول الاستعمارية على ثغورها، أما الداخلية فتمثلت في تعفن الأحول السياسية في المدن وكثرة الظلم والفساد فأخذت

---

[1] بوغد يرى كمال، الطرق الصوفية في الجزائر الطريقة التجانية نموذجا، دراسة انتروبولوجية بمنطقة بسكرة رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2، 2015،2014، ص229.

[2] يحي هويدي، تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية ، ج1، في الشمل الإفريقي، مكتبة النهضة ، القاهرة،1965 ،ص397.

[3] Charle André julien, histoire de D'afrique du nحrd « Tunisie, Algérie, Maroc » de la conquête arabe à 1830, Edition, Payot, paris 1965.pp.65.10.

ظاهرة الزهد والانعزال والتصوف تزحف نحو الداخل في شكل نزوح من المدينة إلى الريف.[1]

إن التصوف في المغرب الإسلامي تأثر بالمنهج الصوفي الذي وضعه "أبي حامد الغزالي" متأثرا بتجربته الفلسفية وهي تجربة سنية أشعرية يعتقد أنها انتقلت من خلال مؤلفاته إلى المغرب الإسلامي عن طريق أبو بكر ابن العربي.[2] الذي قيل عنه أنه تشبع بفكر الغزالي وسلك مسلكه حتى حاز على الخرقة منه شخصيا.[3]

فقد أثر الغزالي على المنشغلين بالزهد والتصوف ويظهر ذلك من خلال اهتمام المغاربة بكتاباته وسيرته الذاتية، فهم يعتبرون الغزالي حلقة مهمة في توارث المشيخة الصوفية في سلسلة تمتد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

الملاحظ، أن التصوف في المغرب الإسلامي تميز في القرون الثلاثة السابقة الذكر بميزة هامة أخرى وهي تقيده بالكتاب والسنة والابتعاد عن تيار التصوف الفلسفي الذي كان يمثله في المغرب الإسلامي الصوفي الكبير "ابن العريف"، الذي تتلمذ على يده "محي الدين بن عربي"[4] (ت 638هـ)هذا الأخير يعد أكبر من مثل التصوف في المغرب الإسلامي.[5]

في خضم هذه الظروف ، نجد طائفة المرابطين الذين لطالما تحملوا مسؤولية تجاه الهمم للدفاع على ديار المسلمين ، وهي المهمة التي كانت من قبل من اختصاص

[1] جلال صاري، دور التاريخي للطرقية ببلدان المغرب العربي، محاضرة القين بملتقى الفكر الإسلامي الـ21، معسكر، 26 أوت 1887.

[2]أبو بكر ابن عربي، نزل عام 468هـ اشبيليا بالأندلس تنقل بين مصر والعراق والقدس والحجاز وشام وتوفي عام 534هـ، للمزيد أنظر يحي هويدي، المرجع السابق، ص214.

[3] ساعد خميسي، تأثير ابن مدين في فكر وتصوف محي الدين بن عربي، منشورات جامعة 45منتوري، قسنطينة، الجزائر ، 2007، ص142.

[4]محي الدين بن عربي :هو محمد بن علي بن أحمد بن عبد الله ولد عام 560هـ وعرف أسفاره من الأندلس إلى المغرب ثم إلى مصر ثم مكة ثم بغداد ثم الشام توفي عام 638هـ ، من أشهر مؤلفاته الفتوحات المكية خصوص من الحكم ، تأثر الشيخ التيجاني وخاصة أفكاره المتعلقة بالقطبية وختم الولاية، أنظر :يحي الهويدي ، تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية، ج1، في الشمال الإفريقي ، مكتبة النهضة، القاهرة ، 1965، ص314، 317.

[5] يحي الهويدي، المرجع السابق، ص397.

الدولة حيث وفي ظل الاستقرار النسبي وقلة الهجمات الاستعمارية قاموا بتأسيس ما عرف باسم "الرابطات" على الثغور ، وبدء الناس يقصدونهم لتعلم القرآن وعلوم الحديث والفقه وغيرها ، مما جعلهم قبلة للكثير من الناس وليلفتوا من حولهم ويكثر أتباعهم.

وهكذا توسع نشاط المرابطين ولم يعد مقتصرا على التعليم وجل القضايا الاجتماعية، ولم يعد التصوف حكرا على النخبة فقط بل أصبح مجالا مفتوحا أمام العامة من الناس لاسيما في بداية العهد العثماني حيث انتشرت الأضرحة والقباب وساد الاعتقاد في هؤلاء المرابطين واعتبروا من طائفة الأولياء .

عن هذه الظاهرة يقول أبو القاسم سعد الله :"كل ما كان يفعله المرابطون هو بناء الزوايا وادعاء الكرامات ، وإعطاء العهود والأوراد، وتلقين الأذكار، وقليل منهم من سلك طريق الزهد والتصوف.[1]

إن هذه الظاهرة السالفة بالذكر جعلت أصابع الاتهام توجه لأهل التصوف العملي أو الطرقي حيث رأى خصومهم بأنهم يفضلون قراءة الأوراد على تلاوة القرآن ، وانهم وضعوا منزلة شيوخهم في منزلة الأنبياء، إلا أن ذلك لم يحد من انتشارها، حيث تفرعت عدة طرق صوفية عن القادرية والشاذلية دخلت من المشرق العربي طرق صوفية كالخلوتية والنقشبندية وعلى هذا النحو انتشرت وتعددت حتى بلغت نحو 200 وماساعد على ذلك بساطة تفكير الناس واعتقادهم في مسائل مثل وجود الولي وكراماته وان التصوف هو جزء من التدين الذي تبيحه الشريعة الإسلامية.[2]

تعد ظاهرة الوحدة العقائدية بين المشرق والمغرب الإسلامي، من الأمور التي ساعدت على انتقال التصوف ، حيث بات التلاقح الفكري أمرا حتميا وكان ذلك عن طريق الرحلات إلى البقاع المقدسة، إذ كان علماء المغرب الإسلامي يحرصون

[1]أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 1981، ص 532.
[2]نفسه، ص533.

على أداء فريضة الحج، وأثناء التنقل بين البلدان والأمصار وخلال فترة أداة الفريضة، يتم الالتقاء بالمتصوفين من المشرق العربي فيأخذون عنهم معالم التصوف وأسس ومبادئ الطريقة وعند عودتهم يقومون بنشرها في أوطانهم.

ومن الأسباب أيضا، نجد عامل آخر يراه بعض الباحثين مهما ويتمثل في هجرة بعض الأسر العلوية من المشرق إلى المغرب الإسلامي هروبا من انتقام العباسيين وخاصة عند فشلهم في مقاومتهم مما أدى إلى ظهور أسر شريفة النسب فأصبحت لهم امتيازات خاصة وتقديرا واحتراما حتى وصل إلى حد التقديس.

وما يلاحظ أن التصوف في المغرب الإسلامي، عموما يختلف عما كان عليه بالمشرق العربي، حيث أنه لم يشهد نفس الصراع الذي عاشه في المشرق العربي، فقد عرف قرن 9/8/7هـ متصوفين متمسكين بالكتاب والسنة مبتعدين عن التصوف الفلسفي.

ومن أسباب نشوء ظاهرة التصوف في المغرب الإسلامي تلك الرحلات العلمية فمن خلالها دخلت مجموعات كبيرة من المصنفات الصوفية المشرقية إلى المغرب العربي من أبرزها "كتاب الرعاية" للحارث بن أسد (ت 895هـ/ 254م).[1]

وكتاب "قوت القلوب" لـ" أبي طالب محمد بن علي المكي" توفي حوالي ق3هـ، " "الرسالة القشيرية" لأبي القاسم القشيري"، (ت 465هـ/ 1072م)، وكتاب " إحياء علوم الدين" لأبي حامد الغزالي "(ت 505هـ/1111م).

وغيرها من المؤلفات التي عكف الفقهاء والصوفية على دراستها وتمعنها لفهم محتواها وتذكروها في مجالسهم وناقشوا مواضيعها في حواراتهم.

ومن العوامل التي ساهمت في انتشار الحركة الصوفية في المغرب الإسلامي نجد حركة الحجيج، فعن طريق رحلات الحج كان علماء المغرب الأوسط (الجزائر)

[1] حميدة بن خميسي، نشأة التصوف في المغرب الإسلامي الوسيط، دار الثقافة العربية الجزائر، 2007، ص23،21.

يجدون في هذه الفترة مناسبة يلتقون فيها بالمتصوفين من المشرق العربي فيأخذون عنهم الطريقة وعند عودتهم يقومون بنشرها إلى أوطانهم مثل ما حدث مع الشيخ "أحمد التيجاني"، مؤسس الطريقة التيجانية الذي أخذ عن أحمد بن عبد الله الهندي في مكة وعن القطب سيدي محمد بن عبد الكريم بالمدينة المنورة أثناء أداة فريضة الحج.[1]

الهجرات التي كان يقوم بها فقهاء وعلماء الأندلس والمغرب الأقصى، يهاجرون لأسباب سياسية وعلمية ومذهبية إلى الجزائر مثل "أبي مدين الاشبيلي" الذي أخذ التصوف عندما أقام بفاس (المغرب الأقصى) ثم رحل إلى المشرق العربي تقابل مع الشيخ "عبد القادر الجيلاني " فأخذ عنه تعاليم "الطريقة القادرية".[2] كما نجد "أبو الحسن الشاذلي"، الذي ولد في سبتة بالمغرب الأقصى حوالي 1197هـ، أخذ تعاليم الطريقة من الشيخ " عبد السلام بن مشيش" تلميذ "أبي مدين شعيب" هاجر "الشاذلي" من الجزائر ثم إلى تونس ثم مصر وأخيرا اليمن حيث أقام هناك وتوفي (656هـ/1253هـ) وهو العام الذي سقطت فيه بغداد على يد المغول.[3]

انتشر التصوف ورجاله في المغرب الإسلامي خاصة الجزائر وتونس بقدوم العثمانيين بكثرة حيث أن الأتراك العثمانيين أنفسهم كانوا متأثرين بالتصوف وعند دخول العثمانيين للجزائر وجدوا أن أقرب الناس إليهم هم رجال الدين فكانوا يتقربون منهم ويتبركون بهم حتى استمالوهم وقربوهم لمساعدتهم على بسط نفوذهم في كافة المدن و الأرياف الجزائرية وإخضاع سكانها باسم الدين للحكم العثماني وكان ذلك بإكثار الهدايا والعطايا لرجال الدين وإكثار زواياهم وإخفائها من الضرائب وتشجيعهم على بناء المساجد والقباب والمزارات واحترامهم لأوليائهم وتشجيعهم على ممارستهم الدينية واحترام نسلهم وعائلاتهم ومن أمثلة ذلك

---

[1] أبو قاسم سعد ، المرجع السابق، ص284.
[2] حميدة بن خميسي، المرجع السابق، ص48.
[3] الطاهر المعموري، الغزالي وعلماء المغرب، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1980، ص24.

ما حضي به "أحمد بن يوسف الملياني" من احترام له و لأتباعه ، حيث استغل توتر علاقته بالزيانيين حتى يثور عليهم بتأييد من العثمانيين، خاصة أنه اشتهر كقطب من أقطاب "الشاذلية" وكان ذلك عاملا ساعد على انتشار التصوف ورجاله خلال العهد العثماني في الجزائر.[1]

إن سيطرة الموحدين على سواحل البحر المتوسط في النصف الأول من القرن 6هـ، أدى إلى تقلص وظيفة حراسته وانتظار العدو التي كان يقوم بها المرابطون فاتجه هؤلاء إلى ممارسة العبادة والذكر وبهذه الكيفية نشأ التصوف وانتشر وبالتالي فان الحركة الصوفية التي شهدها المغرب الأوسط في القرنين 6 و7 هـ /12 و13م هي نتائج للرباط والمرابطة، حيث كانت الرابطات تهدف إلى حماية السواحل المهددة دوما بالغارات الأجنبية.

انتشر الاعتقاد بالمرابطين بالمغرب الإسلامي منذ بداية القرن الخامس عشر الميلادي، وهنا سجل التغير الذي حدث في مفهوم شخصية المرابط، إن أصبح لا يعني الرجل الذي يلازم الرباط في الثغور بل يقصد به رجل ذا سلطة روحية وكرامات ونفوذ على الناس وما يلاحظ أيضا هنا التغير الذي حدث في المؤسسة المرتبطة بالمرابط اي الانتقال من الرباط إلى الزاوية وهي مقر المرابط في حياته أو بعد مماته التي يكون قد أسسها أو أسست على ضريحه من بعده من طرف الأتباع أو مريدين وقد ظهر الزاوية في المغرب الأوسط (الجزائر) خلال القرن 13م، بذلك تكون قد حلت مكان الرباط لستمرت في التطور في أحداث وظائف جديدة لها إلى ان استقرت وظائفها النهائية في العهد العثماني على أيدي هؤلاء المرابطين حيث جمعت بين التعليم والتوجيه والحرب، كما أن انتشارها في الجزائر بسبب حادثتين في حياة المسلمين وهما: ضياع الأندلس والغزو الاسباني والبرتغالي، وقد عملت الزوايا خلال ذلك العهد على إحياء وظيفة المقاومة التي كانت موكلة إلى الرابطات القديمة في الجزائر كان يشرف على إدارة الزاوية

[1] سعد أبو قاسم، المرجع السابق، ص269.

أما المرابط أو واحد من ذريته ويدعى شيخ الزاوية ويساعده في إدارتها الوكيل أو عدد من الخدم والمتطوعين.[1]

- إن هؤلاء المرابطين ملئوا الفراغ في بعض مناطق الجزائر التي ظلت تعيش في عزلة عن الحكومة التركية، التي لم تولي أي اهتمام للمجتمع من حيث التعليم والتوجيه بل ظلت سياسة الأتراك سلبية لا تربطهم بالمجتمع الجباية المال فكانت إدارتهم بذلك أداة استهلاك ولم تكن أداة إنتاج في أغلب الأحيان.

إن اختيار المرابطين لبعض مناطق الجزائر مقرا لهم ومجالا لممارسة نشاطهم ساعدهم على بسط نفوذهم وانتشارهم نظرا لحاجة السكان لمن يعلمهم ويوجههم، ولقد كان سكان الريف يمثلون النسبة الكبيرة في مقابل قلة الحواضر أو المدن آنذاك، أما الريف فكان يعاني العزلة و الأمية والجهل، ولهذا كان المرابطون (شيوخ الزوايا) البديل عن الحكومة التركية حيث عملوا على التوحيد بين القبائل وحل النزاعات وإيقاف القتال كلما نشأت حرب بين قبيلتين أو أكثر، وبالتالي عملوا على إقرار السلام و الأمن في الريف ومقابل ذلك جنوا الطاعة المطلقة والاحترام الكامل من جميع السكان.[2]

لقد استمر الاعتقاد في المرابطين من قبل عامة الناس مما جعل زواياهم تنشر نظرا لادعاء أبنائهم بأنهم ورثوا الولاية وأنهم أحق بها دون غيرهم، ورسخوا فكرة مفادها أن البركة تفيض على الولي ثم تنتقل إلى ذريته فيصبحون جميعا مرابطين يلتمس الناس منهم البركة حتى كان هناك تسابق من قبل القبائل والعشائر ليكون لكل منهم مرابطها يعزز شوكتها ويدعم مركزها ويحميها من شر الأعداء.[3]

- مما سبق يتضح أن التصوف في المغرب الإسلامي بدا ممارسة شخصية فردية لكنه لم يظل كذلك بل تطور وارتبط بمؤسسات سميت بالرابطات ثم الزوايا

[1] فيلالي مختار الطاهر، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني، دار الحق الغرافيكي للطباعة والنشر، باتنة ، الجزائر، 1976، ص27.
[2] المرجع نفسه، ص17.
[3] نفس المرجع ، ص30.

ويمارس في فضاءات خاصة سميت بالزوايا مما تقدم ذكره يتضح أن التصوف في المغرب الإسلامي كان وليد ظروف وعوامل مختلفة ساهمت في ترسيخه وانتشاره وتطوره.

في هذا السياق يقول الأستاذ "أحمد توفيق المدني" في كتابه "هذه هي الجزائر": "إن الطرق الصوفية استطاعت أن تحفظ الإسلام بهذه البلاد في عصور الجاهلية والظلمات حيث عمل رجالها الأولون على تأسيس الرابطات والزوايا يرجع فيها الضالين إلى سواء السبيل ويقدمون بتعليم الناشئة وبث العلم في صدور الرجال، ولولاه لما كانا نجد الساعة في بلادنا أثرًا للعربية ولا للدين الإسلامي"[1]

ويتحدث المؤرخ الجزائري الشيخ "عبد الرحمان الجيلالي" في كتابه "تاريخ الجزائر العام" يقول : " من أهم أحداث القرن السادس الميلادي، أن الطرق الصوفية بعثت بالتقاليد الإسلامية في الكثير من الجماعات البربرية، كما حملت على التقريب من السكان إن لم تكن قد جعلت منهم وحدة متكاملة.[2]

[1] أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر ، المطبعة العربية، ط4، بيروت، 1979، ص67.
[2] عبد الرحمان الجيلاني، تاريخ الجزائر العام، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، 1965، ط2، ص72.

2- الطرق الصوفية في الجزائر وأعلامها :

-على الرغم من ظهور التصوف في القرن الثاني هجري وانتشاره

في المشرق العربي إلا أن المجتمع في المغرب الإسلامي عموما كان بمعزل عنه ولم يعرفه أهله كما عرفه المشارقة حتى أوائل القرن الخامس أو قبله بقليل، وذلك في عهد المرابطين.[1]

- وقد نشأ التصوف في المغرب العربي مبنيا على الزهد والتقشف والشك وحمل الناس على المجاهدة في الطاعة والوقوف مع ظواهر الشرع دون تغلغل في علوم المكاشفات والحقائق، لذلك لم يحتدم في المغرب في ذلك العصر صراع بين الفقيه والصوفي كما حدث في الشرق من قبل، ونظرا لبعد التصوف المغربي عما يخالف ظاهر الشريعة من منظور الفقهاء. وما إن جاء منتصف القرن الخامس الهجري حتى دخلت بعض كتب التصوف للمغرب وفوجئ العلماء في أواخر هذا القرن بكتاب "إحياء علوم الدين" للإمام الغزالي، الذي وجدوا فيه الكثير مما لم يألفوه فثاروا عليه وأمروا بإحراقه وتحريم قواعده ، وكان هذا الحادث إضافة إلى العوامل الرئيسية الأخرى، ومنها على وجه الخصوص انتشار الظلم والحروب الأهلية والفتن، من أهم عوامل تدهور واضطراب وانحلال دولة المرابطين على يد "المهدي بن تومرت" منشئ دولة الموحدين، إلا أن كتاب "إحياء علوم الدين" للغزالي ظل يتمتع بشعبية كبيرة ، حيث شغف بقراءته كثير من الناس مثل "أبو الفضل النحوي" الذي قال :" وددت أني لم أنظر في عمري سوى هذا الكتاب" [2]

---

[1]شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، ترجمة المنجي سليم وآخرون، مراجعة فريد سوداني، الدار التونسية للنشر، 1976، ص25.

[2]عبد الله التليدي، المطرب في مشاهير أولياء المغرب، مؤسسة التغليف والطباعة والنشر والتوزيع، المغرب، 1984، ص31، 32.

وفي القرن الرابع عشر الميلادي، الثامن هجري مال التصوف إلى الركود ثم ظهر فجأة على شكل حركة شعبية قادها أبو الحسن الشاذلي وفي القرن الخامس عشر ميلادي وأواخر القرن الثامن الهجري اتخذ التصوف شكلا تنظيميا تمثل في طرق أو طوائف كما يطلق عليها، حيث أقام المتصوف لأنفسهم خلوات من أجل العبادة الزائدة عن العبادات المفروضة، ولم يقتصر هدفهم على العبادة وإرشاد الأعضاء في الممارسات الروحية وإنما حرصوا على توفير حياة يسودها الولاء والإخلاص لقائد أو مرشد هذه الطريقة أو الطائفة.[1]

-يجد الباحث أن الجزائر كانت تنتشر فيها عدة طرق صوفية، بعضها مشرقي الأصول وبعضها الآخر مغربي، وعنها تفرعت باقي الطرق حيث أن لكل طريقة من الطرق زواياها، ومقاماتها وأتباعها، وإن وقع التركيز على أبرز الطرق الصوفية، وأهم الفروع التي كانت قائمة في الجزائر، فقد كانت تتفرع عن طريقتين أساسيتين الأولى مشرقية الأصل، وهي الطريقة القادرية، والثانية مغربية المنشأ وهي الطريقة الشاذلية وقد تفرع عنهما عشرات الطرق الصوفية.[2]

في القرن الثالث عشر الهجري أي التاسع عشر الميلادي عرف المغرب الإسلامي ظهور العديد من الطرق الصوفية كالقادرية والشاذلية التيجانية والرحمانية والسنوسية بفضل جهود بعض مشايخ الطرق وأصبحت الطرق ملجأ عاما جماهريا.[3] ويرجع المؤرخ الجزائري عبد الرحمان الجيلاني في كتابه "تاريخ الجزائر العام" إلى أن انتشار الطرق الصوفية وتعددها وتفرعها إلى فروع عديدة يعود الى القرن الثامن الهجري، حيث فاق عددها آنذاك أكثر من 40 طريقة، باستثناء الطريقتين القادرية والشاذلية اللتين كانتا موجودتين قبل قدوم العثمانيين إلى الجزائر.

---

[1] سبنسرترمنجام، الفرق الصوفية في الإسلام، ترجمة عبد القادر البحراوي، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1997، ص92.

[2] سبنسرتر منجام، المرجع السابق، ص256.

[3] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص25.

ويرى "الجيلاني" نقلا عن دائرة المعرف الإسلامية أن أهم الطرق في الجزائر من حيث الانتشار وعدد الأتباع هي كما يلي : الرحمانية ، والقادرية، و التيجانية، ثم السنوسية، و الشاذلية، العلاوية، الدرقاوية، العمارية، الحنصالية، الزيانية، الموساوية، الشابية، الهوسفية.[1]

ومنذ نشأة هذه الطرق أصبحت الزوايا الكبرى تحتل المقام الأول من اهتمام المريدين فهي في آن واحد مساجد ومدارس و مأوى لعابري السبيل، وهي مقر إقامة كبير الطريقة الشيخ المتلقي من الله الحركة التي تمكنه من الإتيان بالكرامات. وينطلق من الزوايا في كافة البلاد نواب الشيخ الذين يحملون تعاليمه وأوامره إلى جماهير المتحمسين وهم الإخوان، والزوايا تزود الإخوان بمعرفة الطريقة والشعائر الدينية وخاصة الأوراد التي يذكرونها إلى ما لا حد له ، والتي تمكنها من الارتقاء الى السعادة في حياتهم الدنيا والآخرة.[2]

فهذه الطرق الصوفية تمثل مراكز وجماعات للدعوة الإسلامية، وقد امتلأت بعديد من الدعاة الفقهاء الذين بلغوا قدرا كبيرا من العلم والمعرفة، وقد اشتهر هؤلاء الدعاة في إفريقيا وكان لهم دور واضح في نشر الدعوة الإسلامية ومواجهة جماعات التبشير المسيحية ومقاومتها وفي مقاومة النفوذ الفرنسي والايطالي والاسباني المتسلط على المغرب العربي كله منذ 1830 في الجزائر 1881، وفي تونس 1911 وفي ليبيا 1912 في المغرب الأقصى، وقد صور "أحمد توفيق المدني " في كتابه "تاريخ الجزائر" دور هذه الطرق قائلا : "إنها استطاعت أن تحفظ الإسلام في هذه البلاد في عصر الجهل والظلمات وقد عمل رجالها الكاملون الأولون على تأسيس الزوايا والرباطات وقاموا فيها بتعليم النشء وبث العلم في صدور الرجال، ولولا تلك الجهود التي بذلوها لما كنا نجد في بلادنا مكان اللغة العربية ولا للعلوم الدينية، فالزوايا الكبرى هي التي كونت في هذه البلاد طبقة

[1] صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر (تاريخها ونشاطها)، دار البصائر، ط2، 2009، ص87.

[2] صلاح مؤيد العقبى، المرجع السابق، ص26.

فاضلة من العلماء والفقهاء وحفظة القرآن الكريم والحديث الشريف، وكانت سلطة فعلية في نقل تعاليم الإسلام إلى بلدان في أقاصي الجنوب والسودان".[1]

- لقد عرف المجتمع الجزائري باحترامه الدائم لمعلم القرآن أو شيوخ الزاوية إذ كانت له مرتبة لا ينافسه فيها أحد وكان مدرسة لتربية الأبناء وتعليمهم القرآن وعلوم الدين واللغة العربية، فهو يقاسم المجتمع والأسرة خصوصا مسؤولية التربية على الطريقة المتعارف عليها بين الناس في ذلك الزمان، وكان له حق التصرف في تربية الأبناء، فالمجتمع الجزائري يثق ويخضع خضوعا تاما لإرادة شيخ الزاوية أو المرابط والتنشئة تقتضي آنذاك إعطاء الحرية المطلقة في التصرف في المريد وما عليه سوى الطاعة التامة فهو كما قيل "المريد في يد الشيخ كالميت في يد المغسل" الذي وجد قبولا وتأييدا من قبل المجتمع كافة.

-في المغرب العربي عموما بما في ذلك الجزائر، تعني الزاوية في معناها البسيط مكان انزواء وخلوة للعباد الصالحين، ففيه كما تشير الى مكان تجمع الإخوان، فيها يلتقي الشيخ بمريده لإقامة حلقات الذكر وقراءة الأوراد وحفظ القرآن، وبعض العلوم الأخرى، والزاوية من هذا النوع تكون ملكا لصاحبها الذي بناها وأسسها يتوارثها أبنائه وأحفاده بعده.[2] وعادة ما يدفن فيها الشيخ المؤسس والصالحون من أبنائه من بعده وتحتوي في الغالب على ضريح الشيخ في الشكل بناية أعلاها قبة، وباحة الزاوية تقام فيها الصلوات وحلقات الذكر، وتحتوي أيضا على بيت يسمى "دار الضيافة" ومدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ومرافق أخرى.[3]

لكل زاوية صوفية رئيسية زوايا فرعية وأخرى صغرى بحسب عدد مردييها، وتعتبر محجة لسكان تلك الناحية ولكل مريدي طريقة الشيخ للتبرك بالضريح وتقديم

[1] أنظر : أحمد توفيق المدني، تاريخ الجزائر الى يومنا هذا و جغرافيتها الطبيعية والسياسية وعناصر سكانها، المطبعة العربية، بيروت، 1931.

[2] يحي بو عزيز، أوضاع المؤسسات الدينية في الجزائر خلال القرن 19، 20، مقال بمجلة الثقافة، ع63، ماي، جوان، وزارة الثقافة، الجزائر، 1981، ص17.

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، (1830-1954)،ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ص262.

العطايا وإقامة الحضروات، وبقدر ما يكون للطريقة من نفوذ، بقدر ما تحظى الزاوية الأم بنفوذ مادي ومعنوي كبيرين لدى أفراد المجتمع.

وفيما يلي يمكننا أن نميز في عجالة بين شيخ الطريقة الصوفية وشخصية المرابط، إذ أنهما يعدان من "أولياء الله" في نظر المعتقدين والمؤمنين بكراماتهم وبركاتهم، كما يتمتعان بشعبية وبوجود مريدين يؤمنون بمبادئ الطريقة ويطبقون شعائرها، أما الزاوية التي يؤسسها "المرابط" فتكون دائرة نفوذها لا تتجاوز نطاق القبيلة والعرش، بينما لا ينحصر نفوذ شيخ الطريقة في منطقة أو بلاد معينة، كما لا يملك الشيخ المرابط وردًا أو إنكارا بعكس شيخ الطريقة الصوفية التي يرتبط فيها المريد بورد وأذكار محددة، كما يعتقد أفراد العرش، أو المنطقة أن المرابط هو الجد المؤسس لها وبالتالي لا بد من الولاء الكامل له، والتفاخر بالانتساب إليه والقبيلة التي لا مرابط لها تكون منقوصة المكانة بين القبائل المحيطة بها، بينما نجد أن شيخ الطريقة لا تربطه بالقبيلة إلا الرابطة الروحية وإيمان الناس بتعاليمه وإتباع المرابط يقدمون له ولأبنائه وأحفاده من بعده في كل حين الهدايا بمحض إرادتهم، بينما تفرض الطريقة الصوفية على مريدها المعونة العينية أو النقدية التي يتم تحديها مسبقا، الطريقة الصوفية تقوم بالدعوة بين القبائل بواسطة دعاة أشكل وأنماط مختلفة كالتجارة بينما لا يقوم المرابطون بأي نشاط من هذا القبيل أما الرئاسة فتنتقل عادة من المرابطين إلى ذريتهم، بحكم انتقال البركة إليهم أبا من جد بينما ليس بالضرورة أن يتولى رئاسة الطريقة أبناء الشيخ بل أصلح المريدين من تلاميذ الشيخ أو مساعديه، ولاسيما من يكونوا قد تولوا في حياتهم منصبا في الترتيب الهرمي للطريقة.[1]

يمارس المريدون في مناسبات معينة يحيها هؤلاء في محيط الزاوية الأم وبعض فروعها فهي الهيكل والمجال الجغرافي والاجتماعي للإخوان أين يمارس المريدون

[1] بوغد يرى كمال، الطرق الصوفية في الجزائر، الطريقة اليتجانية نموذجا، دراسة انتروبولوجية بمنطقة بسكرة، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة سطيف 2، 2014،2015، ص241.

طقوسهم. والزاوية كما ذكر "كليفورد جرتز-Clifford Geertz" تؤهل لوجود حياة دينية اجتماعية متكاملة، فهي بمثابة البيت الأساسي للفرد، بحيث أنها تفوق الحياة الأسرية لما لها من وظائف دينية وتربوية واجتماعية.[1] بالإضافة إلى تنظيم المقاومة تجاه القوى الأجنبية ومنها على سبيل المثال لا الحصر مقاومات السنوسية للاستعمار الايطالي، و التيجانية للوجود العثماني في الجزائر والقادرية والرحمانية للوجود الفرنسي وغيرها من الأمثلة، دون أن نغفل عموما الفروق الموجودة بين الزاويتين المرابطة (المرابط)، والزاوية التابعة للطريقة الصوفية، رغم اشتراكها القيام بوظيفة التربية والتعليم.

- كما يمكن ان نشير للدور السلبي لبعض الطرق والزوايا نتيجة انحراف شيوخها عن مسارهم الأصيل خاصة خلال فترة الاستعمار والمتمثل في تعاونهم مع الاستعمار مما قضى على ثقة المجتمع في المشايخ وفي دور الزوايا في ظل الاستعمار الذي كان يريد مساعدة الزوايا في إخضاع المجتمع باسم الدين مقدما تسهيلات ومعونات مادية للمشايخ والمريدين إضافة إلى ذلك بعدهم كل البعد عن التصوف بمفهومه الصحيح القائم على الكتاب والسنة، حيث تحولت الطرق إلى وسيلة عيش لدى بعض الناس مستغلين المظهر الصوفي ستارا لأهدافهم الدنيوية وأصبح نشاط الصوفية مقتصرا على الرقص والإنشاد والموسيقى وهذا الأمر لم يكن خاصا ببلاد معينة بل يمثل ظاهرة عامة هيمنت على بلاد الإسلام كلها.[2]

لذلك فهؤلاء ليسوا من المتصوفة الحقيقين بل ساقهم القدر للتصوف بفعل الوراثة التي تفرض على الابن الأكبر أو الأخ لتولي منصب المشيخة دون أن يكون أهلا لها، واما رغبة هؤلاء في تقلد المنصب والقيام بالدور للتمتع بالمكانة والتميز الاجتماعي، ولكن هذا لا يعطينا الحق في تعميم الحكم على شيوخ الطِرق الصوفية

[1] Clifford Geertz, Hilred Geertz, and laurance Rosen, 1979 , Meaning and order in Moroccan society: three Essay in cultural analysis. Cambridge, University press. P68,ترجمة شخصية.

[2] التهامي الوزاني، الزاوية، ج1، منشورات مكتب النشر، مطبعة الريف، المغرب، 1974، ص7-26.

واعتبارها جميعها منحرفة فالطرق الصوفية في الجزائر تمثل قوة دينية لا يستهان بها ووسيلة للإصلاح الاجتماعي حيث تساهم في تربية المجتمع والنهوض به دينيا وروحيا واجتماعيا.

- ذكر الأستاذ والمؤرخ الجزائري "أبو القاسم سعد " أن عدد الطرق الصوفية الفاعلة في الجزائر بلغ أكثر من 26 طريقة منها حوالي أربعة نشأت في العهد الاستعماري كالسنوسية والعليوية والباقي كان موجودا منذ العهد العثماني.[1]

ولعل من بين الطرق الرئيسية المؤسسة في الجزائر ذكر الطريقة الرحمانية والتيجانية أما الطيبية والدرقاوية و العيساوية فقد تأسست في المغرب الأقصى، وهناك ما هو مؤسس في المشرق الاسلامي كالطريقة القادرية أما الطريقة الشاذلية فتأسست في تونس والطريقة الشابية والمدينية فقد نشأتا في طرابلس بليبيا.[2] وإذا كانت الكثير من الطرق الصوفية قد تأسست بالمغرب الأقصى أو من المشرق الإسلامي، فإن تأثير هذه الطرق وصل إلى الجزائر وانتشر في العديد من مناطقها وذلك عن طريق طلب العلم والمعرفة وحتى من خلال الرحلات التي كان يقوم بها الجزائريون إلى البقاع المقدسة والى الكثير من المدن الثقافية التي ازدهرت بها العديد من دور العلم والفكر والتقوى سواء كان ذلك في المغرب أو المشرق الإسلامي وحتى تركيا باعتبارها مقر الخلافة الإسلامية.

وكان الجزائريون يقصدون هذه البقاع لشح بلدهم من بعض أصناف العلوم الدينية والدنيوية ودور العلم والمعاهد العليا والجامعات ومن ثم فقد اقترن تعلمهم بالأخذ من تاريخ هذه المؤسسات الثقافية والتزود بالفكر الديني والصوفي، والتأثر بالمبادئ الصوفية والطرق الدينية التي كانت سائدة هناك، بل ونقلوها إلى بلادهم خلال عودتهم إليها. بل ونشروا الكثير من مبادئها، فعلى سبيل المثال كان المغرب الأقصى مركزا هاما لنمو الطرق الصوفية منذ سقوط الأندلس وما أحدثه من حزن

---

[1] أبو القاسم سعد ، المرجع السابق، ج14، ص28.
[2] المرجع نفسه، ص28.

عميق لدى المسلمين وظهور التهديد الصليبي الذي تمثل في احتلال الاسباني لثغور الجزائر.[1] وبالتالي ظهرت به مدارس صوفية عديدة أثرت على إقليم الغرب الجزائري، كما عرف الشرق الجزائري تأثيرات بعدة طرق ولا سيما الشابية .[2]

ويذكر "سعد " أن الجزائر قد حل بها خلال العهد العثماني العديد من المدرسين والعلماء من بلاد المشرق العربي أمثل الملا على الذين أقاموا في قسنطينة ثم في الجزائر و"الشيخ فتح الله" و"محمد تاج الدين" ونحوهم، وكانت العديد من الأفكار والمذاهب تتسرب وتنتقل مع هؤلاء، وتنتشر بين طبقات المجتمع الجزائري كما ساهمت قوافل وحجاج بلاد المغرب التي كانت تزور البقاع المقدسة خلال كل سنة في نقل العوائد والتقاليد والتيارات الدينية والصوفية التي كانت منتشرة ببلاد المشرق العربي والإسلامي، سواء بلاد الحجاز أو في مصر أو في بلاد الشام وكان الحجاج الجزائريون كثيرا ما يستقرون لشهور عديدة في تلك البقاع، ومن تلك الأمثلة ما أخذه "محمد بن عبد " خلال تواجده بمصر عن الطريقة الخلوتية التي كانت منتشرة في بلاد المشرق الإسلامي.[3]

---

[1] العيد مسعود، حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، مجلة سيرتا، ع 3، ماي، 1980، ص58.

[2] أبو قاسم سعد ، المرجع السابق، ص105.

[3] بوغديري كمال، المرجع السابق، ص243.

3- نماذج من الطرق الصوفية في الجزائر وأعلامها :

-انتشرت في الجزائر كما ذكرنا عدة طرق صوفية، بعضها مشرقي الأصول وبعضها الآخر مغربي، وعنها تفرعت باقي الطرق وأن لكل طريقة من الطرق زواياها وأتباعها.

وكذلك ما أخذه "الأمير عبد القادر" مع والده خلال زيارتهما للحج سنة 1825، وبعدها رحلا إلى الشام ومكثا في دمشق شهورا عدة وجلس إلى حلق العلم والتدريس في الجامع الأموي وهناك تعرف على أهل العلم ومنهم الإمام المحدث "عبد الرحمان الكزبري الدمشقي".[1]

وأخذ الأمير خلال إقامته ق عن الطريقة النقشبندية التي خدمها العارف بالله الشيخ "خالد النقشبندي" "الشهروردي".[2] وكان الأمير يتردد عليه وأخذ عنه علوم التصوف والتوحيد والعلوم الدينية، بعدها سافر الأمير إلى بغداد وزار ضريح العالم "سيدي عبد القادر الجيلاني" الذي ذاع صيته في بلدان العالم الإسلامي قاطبة.

وتذكر المصادر التاريخية أن الأمير عبد القادر أخذ الإجازة بالطريقة القادرية، كمجالس خرقة التصوف من يد الشيخ "محمود القادري الكيلاني" خليفة الشيخ "عبد القادر الملياني".[3]

ولهذا فقد عرفت الجزائر خلال الفترة العثمانية انتشارا للعديد من الطرق الصوفية التي تناولها الكثير من المصادر ولعل أهمها ما قام به "لويس رين- L.Rinn" حيث

---

[1]هو أبو المحاسن وجيه الدين عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان الكزبرى الدمشقي، عالم ومحدث ولد بدمشق (1771،1746)، للمزيد أنظر : كحالة معجم المؤلفين، ج5، ص177.

[2]هو أبو البهاء ضياء الدين مولانا الشيخ خالد بن أحمد بن الحسين الشهرودي الكردي الشافعي (1779-1827)، عالم ومحدث وفقيه ومن علماء الأصول ، من آثاره الرسالة الخالدة في آداب الطريقة النقشبندية للمزيد انظر :الزركلي، الأعلام، ج2، ص114.

[3]فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري، متصوفا وشاعرا،ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 42.

كان على دراية بشؤون الجزائيين .وقد ألف سنة 1884 كتابه بعنوان "مرابطون وإخوان، Marabouts et Khouans ".

أعطى خلاله مسحا عن الطرق الصوفية كما قدم إحصائيات حول عدد الزوايا والمريدين وبعض الأوقاف.[1]

ودائما حسب الدراسات الفرنسية فان الطرق الصوفية التي ظهرت خلال القرن السادس عشر ظلت على انتشارها الوسع الأوسع خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر و أهمها الطريقة القادرية والطريقة الرحمانية و التيجانية، الدرقاوية والشاذلية وقد تعايشت هذه الطرق الصوفية منذ بداية نشأتها مع المرابطين، لكن ما لبث أن وقع الطلاق مع بعضها البعض خلال القرن الثامن عشر بسبب اتهام أبناء المرابطين، بإهمال الدعوة والإرشاد إلى والانغماس في ماديات الحياة الدنيا على حساب الآخرة.[2]

- ترجع تسمية هذه الطرق إلى أسماء أقطابها ومشايخها البارزين المشهورين وقد تخلت أسماؤهم بسبتها إليهم وربما رجعت تسمية الطرق إلى أقطابها باعتبارها اجتهادهم فيها وخدمتهم لها، فأطلق هذه التسميات مريدوهم وتلامذتهم وأتباعهم ومحبوهم، إذن فإضافة الطرق إلى أسماء هؤلاء الأقطاب لم تكن بأمرهم وإنما حدثت من غيرهم لأن كل واحد من المشايخ كانت له آثار واضحة في نشاطه واجتهاده في ترتيب أذكار و توظيف أوراد وإضافة بعض الآداب والأخلاق.

---

[1]Jean Mirante, la France et les œuvres indigènes en Algérie (publication du comité National Métropolitaine du centenaire de l'Algérie) p20. ترجمة شخصية

[2]Idem.p70.

1/3 - الطريقة القادرية :

-تعتبر أول طريقة صوفية ظهرت في العالم الإسلامي وأقدمها وجودًا في الجزائر، تنتسب لمؤسسها عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن الحسن المثني بن الحسن بن أبي طالب رضي الله عنه، الجيلاني أو الكيلاني ، نسبة إلى بلدة جيلان من بلاد فارس مسقط رأسه ولد سنة 470هـ/ 1078م.[1] وقد لقب بسلطان الصالحين وأعظم الأولياء و الانقياء.[2]، اعتكف على الدراسة والتعلم وتطلع في الفقه الحنبلي وبرع في جميع العلوم حتى كاد يعد للمناظرة وفي ثلاثة عشر فناء [3]
وألف عددا من الكتب في الأصول و الفروع وأدعية و أوراد في التوسل إلى الله عز و جل، واشتغل بالتدريس والفنون في بغداد ومال إلى حياة الزهد والتصوف وألف طريقته الصوفية القادرية.[4] وقد طاف أنحاء عديدة من العالم الإسلامي ليوصل طريقته التي وضع لها سبع دعائم، (المعاهدة، التوكل، حسن الخلق، الشكر، الصبر، الرضى، الصدق)، وطريقته مبنية على الكتاب والسنة وسلامة الصدر وسخاء اليد وبذل الندى وكف الجفاء وحمل الأذى والصفح عن عثرات الإخوان حسب وصيته لابنه عبد الرزاق.[5] وتعد هذه الطريقة أوسع الطرق الصوفية في العالم، وكان لرجالها الفضل الكبير في نشر الإسلام في إفريقيا وآسيا ومقاومة الاستعمار.[6]

تأسست الطريقة القادرية في القرن السادس الهجري الثاني عشر ميلادي،[7] تعد أقدم الطرق ظهورا وأولها تأسيسا على مستوى العالم الإسلامي وأقدمها وجودًا

[1]صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص142.
[2]المرجع نفسه، ص142.
[3] عبد القادر الجيلاني، السفينة القادرية، مكتبة المنار، تونس، د ط، د ت، ص94.
[4]يحي بو عزيز، موضوعات وقضايا في تاريخ الجزائر، دار الهدى، 2004، ص440.
[5] صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص143.
[6]اسماعيل ابن السيد محمد سعيد، الفيوضات الربانية في المآثر و الأوراد القادرية، دار الهدى، عين ميلة، الجزائر، 2004، ص27.
[7]صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص144

في الجزائر، حيث وجدت أرضا خصبة استطاعت إن تنمو فيها وتزدهر أثناء العهد العثماني[1]

انتشرت الطريقة القادرية في جهات عديدة من العالم الإسلامي انتشارا واسعا، ذكرها حسن بن باديس صاحب "السنية" منذ القرن 8هـ / 14م .

كما تحدث عنها "محمد الزاوي الفراوسني" صاحب "المرائي الصوفية" منذ القرن 9هـ /15م، والملاحظ أن الطريقة القادرية في ذكراها محاطة بتقديس خرافي.[2]

-أما عن دخول الطريقة القادرية إلى الجزائر فتأكد الدراسات والأبحاث التاريخية أنها تعود إلى الشيخ "أبي مدين شعيب" دفين تلمسان ، بعد زيارته للمشرق الإسلامي فأخذ من أعلام علمائها واستفاد من زهادها وأوليائها وتعرف في رحلته بالشيخ عبد القادر الجيلاني فقرأ عليه في الحرم كثيرا من علوم الحديث وأخذ عنه التصوف وألبسه الخرقة كما هو معمول به عند الصوفية، وأورد عنه كثيرا من أسراره وحلاه بملابس أنواره فكان أبو مدين يفتخر بصحبته ويعد أفضل مشايخه الأكابر.[3] بعد عودته من المشرق الإسلامي، كما أن قدوم "إبراهيم عبد القادر الجيلاني" من المشرق إلى المغرب الأقصى ثم انتقاله إلى الجزائر ليستقر بمنطقة الأوراس كان له الأثر في تأسيس زاوية للطريقة القادرية ببلدة منعة* فكان ذلك عاملا مساعدا على انتشار الطريقة القادرية في شرق الجزائر وهي من الطرق التي واصلت انتشارها في القرن 15م بالجزائر، لكنها كانت موجودة قبل هذا وقد انتشرت في الداخل مع مريديها مثل "عبد الكريم المفيلي" بتوات (أدرار- بشار) وأولاد سيدي الشيخ الذين تمركزوا بالجنوب الغربي، كما كان لها ممثلون في كل

---

[1]المرجع نفسه، ص142.

[2]Brosseland , les khouans de la constitution des ordres religieux musulmans en Algérie , Imprimerie de –Bourget, Algérie ,Aout, 1952, p7.الترجمة شخصية

[3] أبو قاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983، ص182.

* منعة : قرية تقع بين ولايتي بسكرة وباتنة على سفوح جبال الأوراس بالجزائر.

من مدينة الجزائر وقسنطينة، وبجاية وحتى فاس بالمغرب الأقصى.[1] وقد انتشرت زوايا عديدة وأضرحة وقباب ومساجد في الجزائر وبجاية وتلمسان وقسنطينة ولها أوقاف كثيرة كانت ترسل مع الحجاج الى الزاوية الأم ببغداد وبقي الحال كذلك حتى العهد الفرنسي.[2]

- وقد انتشرت مبادئ الطريقة الى حد كبير بين الجزائيين وأصبح ذكر "سيدي عبد القادر الجيلاني" على أشده بين الجزائريين وكانت لها أربعة فروع في الجزائر، وهي منتشرة على مستوى القطر الجزائري ولها 33 زاوية.[3]

-والذكر عند القادرية هو ذكر الله وحده، وقد ذكر "محمد بن علي السنوسي" مؤسس الطريقة السنوسية أن أهل الطريقة القادرية أثناء الحضرة يقرؤون الفاتحة بعد الصلوات الخمسة ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم 121 مرة في شكل جماعي ويذكرون عبارة " حان الله والحمد لله ولا اله ألاّ و أكبر "121 مرة ، ويقرؤون سورة ياسين، وحسب ما ذكره " لويس زين" فإن دعاة القادرية يفسرون طريقتهم بأنها العلم والأخلاق والصبر والإتقان وغايتها هي ذكر الله والصدق والابتعاد عن شؤون الدنيا.[4]

ومن شيوخها الشيخ "أحمد بن إدريس الفاسي" الذي كان على وفاق في الرأي والتفكير مع الشيخ السنوسي، والقادريات ثلاثة فرق :

- الأولى: القادرية البكائية وهي منتشرة في تمبوكتو.
- الثانية :القادرية التي توجد في بعض واحات الصحراء الغربية.
- الثالثة :القادرية الذين في ولاته وقد انتشروا في السودان الغربي ووصلوا إلى سيراليون.[5]
- من أورادها : حزب الوسيلة وورد الجلالة.[1]

---

[1] بوغديري كمال، المرجع السابق، ص246.
[2] أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ص24.
[3]المرجع نفسه، ص42.
[4] بوغديري كمال، المرجع السابق، ص246.
[5] صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص146.

ومن التعاليم التي نادت بها الطريقة القادرية التسامح، حيث كان الشيخ عبد القادر الجيلاني دائما يقول : " اتبعوا ولا تبتعدوا وأطيعوا ولا تخالفوا واصبروا ولا تيأسوا واجتمعوا على الذكر ولا تنفروا وتطهروا من الذنوب ولا تناطحوا وعن باب مولاكم فلا تبرحوا".[2] وحدث أن سئل الشيخ الجيلاني عن الدنيا فقال : " أخرجها من قلبك إلى يدك فإنها لا تضرك".[3]

توفي الشيخ ببغداد ودفن هناك عام561هـ /1166م، وضريحه موجود ببغداد وهو مزار للكثير من المريدين من كل أنحاء العالم.[4]

- من مؤلفات الشيخ الجيلاني نذكر :

- الغنيمة لطالب الحق، فتوح الغيب، الفيوضات، الربانية، جلاء المخاطر في الظاهر والباطن، الفتح الرباني والفيض الرحماني، آداب السلوك والتواصل إلى منزل السلوك وغيرها من المصنفات العديدة.[5]

---

[1] سعيد مراد ، الفرق والجماعات الدينية في الوطن العربي قديما وحديثا، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 1997، ص 533.

[2] صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص147.

[3] نفسه، ص147.

[4] عبد الرزاق الكيلاني، الشيخ عبد القادر الجيلاني، الامام الزاهد القدوة، دار القلم، ط1، بيروت،1994، ص275.

[5] عبد الرزاق الكيلاني، المرجع السابق، ص317، 320.

2/3 -الطريقة الرحمانية :

مؤسس هذه الطريقة هو محمد بن عبد الرحمان بن أحمد بن يوسف بن أبي القاسم بن علي بن إبراهيم بن عبد الرحمان الذي يرتفع اسمه الى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، الأزهري : ولد ما بين (1126/ 1133هـ) الموافق 1720 م، بقرية بوحلاوة بعرش أيث اسماعيل من اقليم قشتولة من أرض جرجرة وزواوة ، لقب بالجرجري نسبة إلى جبال جرجرة و الأزهري لأنه درس بالأزهر تعلم بزاوية الشيخ الصديق بن إعراب في بني ايراثن، ثم توجه إلى المشرق لتكمله الدراسة سنة 1152هـ/1739م.[1] وأداء فريضة الحج أثناء عودته استقر به المقام بالأزهر فترة طويلة.[2] قدرت بثلاثين سنة فلازم العلماء لتحصيل العلوم الشرعية وأخذ جمع الفنون كما حكى ذلك بنفسه بقوله : " قدمت إلى مصر .... وشرعت في قراءة جميع الفنون في الجامع الأزهر".[3] وهذا ما يؤكد أنه خريج مدارس عالية المستوى في الفقه والشريعة العامة، وأهم شيخ أخذ عنه التصوف هو "محمد بن سالم الحفناوي".[4] الذي أدخله الطريقة الخلوتية التي تمتد الى الطريقة السهرودية نسبة إلى أبي نجيب السهرودي، تتلمذ على يده الحفناوي شيخ "الأزهري" ولما رأى الشيخ من تلميذه "محمد بن عبد الرحمان" تمكنه من العالم واقتداره على التربية والتوجيه ولمس فيه الصلاح للدعوة كلفه بالذهاب إلى السودان.[5] وبقي فيها زهاء ست سنوات في منطقة "دار فور"، التي نشر فيه الطريقة، ثم رجع إلى مصر

---

[1] عبد القادر الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ط7، 1994، ص47

[2] مختار فيلالي، نشأة المرابطين، المرجع السابق، ص40.

[3] مناقب الشيخ الأزهري، مخطوط لعلي بن عيسى العفوني، المكتبة الوطنية، الحامة ، الجزائر، رقم 945، ص2.

[4] هو شمس الدين بن سالم الشافعي الخلوتي، ولد ببلدة حفنة بالأقصر وبها نشأ ونسب اليه الحفناوي ، تعلم بالأزهر، وتولى التدريس فيه، وولى شيخته هو فقيه ونحوي ورياضي ، توفي 1181هـ.

[5] عبد القادر عثمان، الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان الأزهري، مجلة منبر الامام مالك، ع4، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2002، ص12.

و ألبسه شيخه الحفناوي الخرقة وطلب منه العودة إلى الجزائرسنة 1769م، ولدى عودته إلى الجزائر قام بتأسيس زاوية في مسقط رأسه في ايث إسماعيل.[1]

ومنها انطلق في نشر تعاليم الطريقة الخلوتية التي عرفت باسمه فيما بعد بالرحمانية، ولقيت إقبالا كبيرا من طرق سكان المنطقة.[2]

وقد جرى نجاحه في اكتساب المريدين حسب أهل بلده فهاجر إلى العاصمة وأقام فيها بمنطقة الحامّة وأسس زاوية أخرى.[3] لمواصلة تعليمه نشر طريقة وتربية المريدين خاصة تلقين الأوراد، ولقي استحسانا وإقبالا كبيرين مما أثار مخاوف المرابطين والسلطة العثمانية وحوكم أمام المجلس العلمي الذي أكد براءته، وأمام هذه المضايقة عاد إلى زاويته بآيث اسماعيل وبها توفي بعد أشهر قليلة من عودته.[4] وقد توفي ولم يترك واحد من صلبه وإنما أولاده هم تلاميذه الذين أصبحوا مشايخ للطريقة الرحمانية الأزهرية.[5] وتولى الزاوية بعد توصيته منه على بن عيسى الذي ازدادت الطريقة في عهده نجاحا واتساعا، فتخوف الأتراك من ذلك وقاموا بمحاولة وضع حد لتدفق الزوار على الزاوية الأم، فرأوا ان يقوموا باستخراج جثمانه من القبر ودفنه بالعاصمة لتحويل الأنظار عن الزاوية الرئيسية، مما يسهل عليهم أمر مراقبة أتباعه، وفعلا نقل جثمانه إلى الحامّة وبنو له مسجد ولقب منذ ذلك "بوقبرين".[6] وقد ترك من ورائه تلاميذ عملوا على نشر هذه الطريقة وأسسوا مجموعة كبيرة من الزوايا في مختلف أنحاء التراب الجزائري خاصة في الشرق والوسط والجنوب وحتى في تونس.[7] ، ومن هذه الزوايا "زاوية صدوق، برج بن عزوز،طولقة، أولاد جلال ، خنقة سيدي ناجي وقسنطينة ".[8]

---

[1] عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص47.
[2] صلاح مؤيد، المرجع السابق، ص 156.
[3] عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص48
[4] نفسه، ص48.
[5] ماجدة القاسمي الحسني، الطريقة الرحمانية أركانها وأصولها، دراسة تحليلية نقدية، رسالة ماجيستر، جامعة الجزائر، 2000، ص39.
[6] نفسه، ص39.
[7] أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج1، ص515
[8] صلاح مؤيد، المرجع السابق، ص162.

وحسب إحصائية عام 1892م للمستشرق- رين- بلغ عدد زوايا الطريقة الرحمانية 177 زاوية وأتباعها 156214 فونيا.[1]

ومن مؤلفات الطريقة الخلوتية الرحمانية :

-كتاب السير والسلوك للسيخ مصطفى محمد البكري، الألفية الكافية الوافية له، رسالة فتح الباب للشيخ محمد الأزهري، شرح الريفاوي له، وغيرها.[2]

الطريقة الرحمانية خلوتية تستمد تعاليمها من الطريقة الشاذلية ، ومن مبادئها ما ظهر في إجازة الشيخ عبد الرحمان الأزهري لخليفته علي بن عيسى وقد تبين الورد الذي يجب على التلميذ أن يعطيه لغيره من الإخوان.[3]

- ورد الطريقة الرحمانية : " لا اله إلاّ الله هو حق حي قيوم قهار" وذلك في كل وقت ولاسيما عند عصر كل جمعة إلى عصر الخميس، ثم يذكر عبارة " اللهم صلي وسلم على سيدنا محمد، النبي الأمين وعلى آله وصحبه وسلم" بعدد 80 مرة بشرط ان يكون على طهارة، كما أخذت الطريقة الرحمانية سبعة من أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين وهي : الله هو الحق والحي والقيوم، والعلام، و القهار.[4]

3/3 -الطريقة الشاذلية :

هي طريقة صوفية تنتسب لأبي الحسن علي بن عبد الله بن عبد الحبار الشاذلي، ولد بالمغرب الأقصى في بلدة غماره من إقليم سبتة، عام593هـ، حفظ القرآن ودرس علوم الدين واللغة في مسقط رأسه وبرع فيها ، كان تلميذا لأحد اتباع سيدي بومدين شعيب وأحد كبار أولياء المنطقة، "عبد السلام بن مشيش" ن وهو من كبار المتصوفة بالمغرب الأقصى وبتوجيه منه غادر "أبو الحسن" إلى تونس ، حيث تتلمذ

[1]المرجع نفسه، ص158.
[2]نفسه ، ص169.
[3] بوغديري كمال، المرجع السابق، ص249.
[4]أبو قلم سعد ، المرجع السابق، ص294.

على يد علمائها فازداد علما وتفقها وتصوف.[1] استقر بقرية "شاذلة" التي نسب إليها وهي من قرى تونس، وبعد مضايقات تعرض لها من منافسيه غادرها نهائيا متجها إلى المشرق وتحديدا إلى الإسكندرية ، مخلفا وراءه حشدًا من الأتباع إلى آن وافته المنية سنة 656هـ / 1258م.[2] وهو في طريقه الى البقاع المقدسة دفن بمنطقة "حميثرة" بصعيد مصر .

يعود تأسيس هذه الطريقة إلى النصف الأول من القرن 13م، إذ تعتبر من أقدم الطرق بالمغرب العربي حيث اتخذت من منطقة " بوريت" بمراكش مركزا لها، لتنتقل بعد ذلك الى الجزائر بفضل مرونة تعاليمها واعتدال نهجها أو تؤثر تأثيرا في الطرق التي ظهرت بعد القرن التاسع عشر الميلادي.

ومن مبادئ الطريقة الشاذلية الحث على نشئ الأخلاق والفضائل والتوحيد كما تقوم على الرحلة الفكرية والتأمل المستمر في وحدانية الله عز وجل وعلى الهيمان في أرض الله تعالى بحثا عن التطهر والتسامي وعلى إهمال الذات والقيام بالصلوات والواجبات الشرعية، والطريقة لا تؤمن بالخلوة بل تهتم بالعلم الروحي.[3]

تفرعت عن الطريقة الشاذلية عدة طرق منها الطريقة الدرقاوية والطيبية، والزيانية والزورقية والشيخية، وقد استقطبت اليها كبار العلماء والفقهاء في المغرب والجزائر من أمثال "عبد الرحمان الثعالبي" و"أحمد بن يوسف الملياني" و" ابراهيم التازي" وغيرهم وتقترب الشاذلية في ارتباطها تصاعديا كثيرا من الجزيدية .[4]

---

[1] صلاح المؤيد، المرجع السابق، ص149.

[2] نفسه، ص148.

[3] أبو القاسم سعد ، المرجع السابق، ص68..

[4] Louis Rinn, Marabouts et khouans , Etudes sur L'Islam en Algérie ,Adolphe Jowden, Alger ,1884 ,p172,

أول ما سميت به المغرب "المدينية" نسبة إلى "ابي مدين شعيب"، الرابع عشر في سلسلتها وبعده الشاذلي وهو السادس عشر، ثم نسبت للشاذلي اعترافا له بنشاطه المستمر في خدمتها انتشرت في القرن 9هـ /15م، تفرعت نحو عشرين فرعا بالمغرب والى ثمانية فروع بمصر، لكل منها سلسلته وقطبه.[1] وزاد الانتشار في القرن 10هـ/ 16م خاصة برعاية البيت الجازولي.[2] حيث سيطرة على تلمسان والريف وسوس.[3]

- الطريقة الشاذلية لم تنتشر في الجزائر إلا في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي على أيد الشيخ "عبد القادر بن الشريف" الذي سافر الى المغرب وتتلمذ على يد "محمد العربي بن أحمد الدرقاوي" في زاوية بوبريح حيث أخذ عنه الورد ، وبعد مدة قضاها كمدرس للقرآن في الزاوية المذكورة وأجاز له وكلفه بنشر الطريقة الشاذلية.[4] وقد بلغ عدد زوايا الطريقة الشاذلية حسب إحصاء عام 1882، 32 زاوية و 162 مقدما 14574 مريدا.[5]

ومن فروع هذه الطريقة نجد الجزولية والزروقية واليوسفية والعيساوية والشيخية والنصرانية والطيبية والزيانية والحنصالية والعروسية والبكرية والكتانية والهبرية.

وأما عن نهج الطريقة الشاذلية الذي رسمه شيخها "أبو الحسن" فقد تحدث بنفسه عنه فقال :"ليس هذا الطريق بالرهبانية ولا بأكل الشعير والنخالة، ولا ببقية الصناعة

---

[1] أبو قاسم سعد الله، المرجع السابق، ص96

[2] صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص151.

[3] نفسه، ص152.

[4] محمد الزياتي، دليل الحيران وأسس السهران في أخبار مدينة وهران، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص92-93

[5] L.Rinn, OPCIT, p.235.

وإنما هو بالصبر على الأوامر واليقين في البداية.[1] كما قل تعالى : "وَجَعلنَا مِنْهُم أئِمَةً يَهْدونَ بأمْرِنا لَمَا صَبَرُوا وكَانُوا بآياتِنَا يُومِنُونْ"[2]-

كان تصوف الطريقة الشاذلية يميل للورع، كما توخى شيوخها الزهد في كل شيء[3]

وأتباع الشاذلية بالجزائر لا ينكرون التمتع بنعم الحياة، فالشاذلي نفسه لم يقل بالتجرد عن ملذات الدنيا، بل قال بتدريب النفس على فعل الخير، وإعادتها بالتدريج إلى أحكام الشرع عن طريق الذكر الجماعي أو الفردي فالشاذلية إن لم تسع للمال فهي لا ترفضه والإحساس بالفقر أهم من الفقر.[4]

تعتمد الشاذلية على خمسة فصول :

-1- تقوى الله في السر والعلانية

-2-إتباع السنة في الأقول والأفعل .

-3- الإعراض عن الخلق في الإقبل والإدبار.

-4- الرضا عن الله في القليل والكثير.

-5- الرجوع الى في السراء والضراء.[5]

- ورد الطريقة الشاذلية يقوم على الاستغفار منه مرة والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم 100مرة وذلك كل صباح ومساء، بالإضافة إلى حضور الحضرة مرة

---

[1] صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص149.

[2] سورة السجدة، الآية 24.

[3]ابراهيم مياسي، لمحات من جهاد الشعب الجزائري ،ج4، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص463.

[4]أبوقاسم سعد ، المرجع السابق، ج1، ص463.

[5] مجموعة من المستشرقين، دائرة المعارف الاسلامية البريطانية، ترجمة أحمد الشنتاوي، وابراهيم خورشيد، ج15، دار المعرفة ، بيروت، ص63،60.

في كل أسبوع، ومن عاداتها المستحبة زيارة المقدم والحديث إليه مرة في الشهر على الأقل.[1]

- ولأبي الحسن الشاذلي من الآثار والمؤلفات :

- الحزب المشهور : حزب الشاذلي.

-رسالة الأمين في آداب التصوف.

-السر الجليل في خواص حسبنا الله ونعم الوكيل.[2]

وقد خصه أحمد بن عياد بكتاب عنوانه : " المفاخر العلية في المآثر الشاذلية".[3]

3/ 4 -<u>الطريقة التيجانية</u> :

- تنسب الطريقة التيجانية إلى مؤسسها الشيخ أبو العباس أحمد بن المختار بن أحمد التيجاني، المولود في 1156هـ/1737م، وهو الخليفة الأول للطريقة وواضع أسسها التي تقوم على مبايعة الخليفة من أبناء التيجانية عملا بمبدأ الأكبر سنا.[4]ويقال أنه مال للتصوف وطريق الصوفية وعمره عشرين عاما، فدرس علومها واطلع على بعض أسرارها.[5] وجمع من خلال رحلاته أراء وأفكار الطرق الصوفية في العالم الإسلامي وشكل من ذلك كله مذهب صوفي واستطاع أن يجمع عدد كبير من الأتباع والمريدين الذين يؤمنون بجملة من الأفكار والمعتقدات الصوفية ويزيدون عليها الاعتقاد بإمكانية مقابلة النبي صلى الله عليه وسلم.[6] وقد أعلن أمام جمهور مريديه في بوسمعون عام 1196هـ بأنه رأي النبي صلى الله عليه وسلم الذي أمره بترك جميع الطرق

---

[1] صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص150.

[2]نفسه، ص154.

[3]نفسه، ص نفسها.

[4] http:// www.alarabiya.net/articles/2006/11/29/29482. Html.

[5] فيلالي مختار، المرجع السابق، ص46.

[6]Http:// www.saaid.net/feraq/mathabb/22.htm.

الصوفية الأخرى،[1] وأمام نشاطه المتزايد وجولاته المتعددة عبر الصحراء الجزائرية وحتى خارج الجزائر كالسودان وتونس وإنشائه لمجموعة كبيرة من الزوايا أثار قلق الأتراك فاستولى باي وهران على مدينة عين ماضي مقر الطريقة سنة 1784م وفرض عليها إتارة ، فقرر الهجرة مع أتباعه وأهله إلى المغرب واستقر بمدينة فاس ومنحه سلطان المغرب مولاي سليمان قصر بحوش المرايا لإقامته الخاصة، مع راتب وتفرغ لنشر طريقته وبث تعاليمه.[2]

وبعد أن أسس زاويته بمدينة فاس بحي البليدة ظل بها حتى أدركته الوفاة ، وكان يقول (أن سنده الحقيقي وأستاذه في طريق التصوف هو الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن ما تلقاه من المشايخ الآخرين من الأوراد والسلاسل والعهود لم يرو ضمأة ولم يحقق له المقصود).[3] وقد قام ولداه محمد الكبير ومحمد الصغير بثورة ضد الأتراك 1826-1829، كرد فعل على استفزازهم وظلمهم ، لكنهما فشلا ومات محمد الكبير سنة 1827.[4] وقد انتشرت هذه الطريقة في المغرب الأقصى وإفريقيا السوداء وحتى في تركيا.[5] وفي السينغال ونيجيريا والسودان والغابون والكونغو ومصر وبلاد العرب وبعض أجزاء آسيا.

لم يكن انتشار الطريقة التيجانية واسعا في الجزائر فقد تركزت معظم زواياها في الصحراء ولعل ذلك يرجع الى تطرف مؤسس الطريقة الشيخ أحمد التيجاني بإعلانه أن النبي أمره أن يتخلى عن كافة الطرق وأن من رآه يدخل الجنة بغير حساب .[6]

تأسست بعد وفاته عشرات الزوايا التيجانية منها زاوية تماسين (تقرت) زاوية قمار (وادسوف) ، وزاوية بسكرة وغيرها. وقد توفي الشيخ التيجاني رحمه الله

[1] فيلالي مختار، المرجع السابق، ص48.
[2] صلاح مؤيد، المرجع السابق، ص177.
[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1، المرجع السابق، ص519.
[4] فيلالي مختار، نشأة المرابطين، المرجع السابق، ص 49.
[5] صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص178.
[6] فيلالي مختار، المرجع السابق، ص49.

عن عمر يناهز الثمانين سنة. في يوم الخميس السابع عشر من شوال عام 1223هـ/1814م.[1]

من أهم وصايا الشيخ أحمد التيجاني "تقوى الله الذي لا إله إلاّ هو "، وهي أول وصية أوصاها لأبنائه، حيث قال : " يا بني أوصيكم بتقوى الله في الغيب والشهادة وكلمة الحق، والرضا والعدل على الصديق والعدو والقصد في الغنى والفقر، ثم ذلك الفزع من الله تعالى واللجوء اليه من ضغط كل لاحق من الأمور والحياء منه تعالى" وقال : "من ابتلى بشيء من مخالفة الأمر فليرجع الى الله تعالى بالضراعة والابتهال والاستغفار والانكسار والتذلل والاحتقار.[2]

- بلغ عدد زوايا هذه الطريقة سنة 1882م 17 زاوية، 100مقدم ، 11082 مريد، ومن أهم زوايا هذه الطريقة عين ماضي بها 15000 مريد، وزاوية تماسين قرب توقرت 40000 مريد .[3] دون أن ننسى زاوية قمار بوادي سوف وزاوية ورقلة.

5/3 -<u>الطريقة السنوسية</u> :

-أسسها الشيخ محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسن الإدريسي، ولد سنة (1202هـ /1787م) ببلدة يلّل قرب مستغانم ، وسبب اشتهاره بالسنوسي يعود الى جدهم الذي لقب نفسه بذلك تبركا بالشيخ الإمام محمد بن يوسف السنوسي صاحب التآليف المعروفة وعالم تلمسان.[4] حفظ القرآن وتلقى دراسته الأولى في معسكر ومازونة وتلمسان على يد علماء المنطقة مثل محمد بوراس ومحي الدين بن شهلة ومحمد بن عبد القادر والشيخ بن قندوز، واخذ الصوفية في فاس على يد العربي بن أحمد الدرقاوي وعاد إلى الجزائر وجال عدة مناطق مثل الأغواط والجلفة ومسعد وعين ماضي وبوسعادة ثم نحو تونس وطرابلس والقاهرة ومكة

---

[1]صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص179.

[2]علي حرازم، بن العربي برادة، جواهر المعاني وبلوغ الأماني، تحقيق : عبد اللطيف عبد الرحمان ، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، 1979، ص667.

[3] Louis Rinn, les Marabouts, opcit., p.451.

[4]صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص182.

المكرمة .[1] أسس في مكة أول زاوية له سنة 1837م في جبل "أبي قيس" ورفض الفتوى الذي قدمها الجاسوس المعروف ليون روش والتي تطلب من العلماء إيقاف معركة الجهاد ضد القوات، إذ أنهم لا يستطيعون التغلب عليهم والرضى بقضاء الله وقدره في هذه الحالة.[2]

عاد الى الجزائر وعندما وصل إلى قباس جنوب تونس علم بمساعي الفرنسيين للقبض عليه فرجع واستقر ببرقة أسس بها زاويته التي عرفت بالزاوية البيضاء قرب الجبل الأخضر ثم نقل مركز الزاوية جغيوب التي أنشأ بها أكبر الزوايا السنوسية، توفي في واحة سيوة في لبيا سنة 1859 .[3]

ولهذه الطريقة فضل كبير في نشر الإسلام بوسط إفريقيا خصوصا،[4] له من المؤلفات ما يفوق الأربعين منها " السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين – نزهة الجنان في أوصاف تفسير القرآن".

- ومن الأهداف الروحية التي تعمل لطريقة السنوسية على تحقيقها، ويسعى مريدوها بفضل قراءة الأوراد الوصول اليها هي الاتصال المباشر بين المريد والرسول صلى الله عليه وسلم وهي بذلك فهي تخالف بعض الطرق الصوفية الأخرى في دعوتها للاتحاد مع الله وما لم يؤمن به شيوخ السنوسية ومريدوها .[5]

تتكون الزاوية السنوسية من بيت خاص لإسكان شيخها وبيوت خاصة بالضيوف وبوكيل الزاوية وبمعلم الأطفال والمسجد للصلاة والوعظ والإرشاد والمدرسة القرآنية ومعهد لتدريس العلوم الإسلامية ومساكن للطلاب الغرباء ومكتبة علمية

---

[1] نفسه، ص183

[2] صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص182.

[3] أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص58.

[4] أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، ص378.

[5] صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص 191.

بالإضافة إلى مساكن للعمل ومغارات لحفظ المؤون ومتجر وفرن وحجرة خاصة بالفقراء الذين لا مؤوى لهم.[1]

لم يلتحق الإمام السنوسي بالرفيق الأعلى حتى بلغ عدد الزوايا 52 منها في ليبيا 37 وخارج ليبيا 15 منها ستة في الحجاز و3 في مصر وواحدة في تونس و يذكر أشهب : " أن هذه ليست كل الزوايا التي بنيت في عهد السنوسي "[2]

6/3 -الطريقة الزيانية :

- مؤسس هذه الطريقة محمد بن عبد الرحمان بن أحمد بن أبي زيان الإدريسي الحسني رحمه الله وقدس سره، عرف بالقندوسي نسبة الى القنادسة *، ولد بقصر تاغيت "زوزفانة" (1062هـ/1656م) وفيها حفظ القرآن ومبادئ الدين واللغة ودرس في زاوية الشيخ المبارك بن العربي السجلماسي ثم توجه إلى فاس التي بقي فيها ثماني سنوات.[3] وفيها درس مختلف العلوم الدينية وعلم التصوف ليعود إلى القنادسة ويستقر به المقام ويؤسس طريقة الزيانية ويبني زاويته العامرة التي توفي بها سنة 1145هـ.[4]

- الطريقة الزيانية فرع عن الشاذلية تقوم على أداء الذكر ومعرفة السلسلة الشاذلية وسلسلة أهل التصوف.[5]

- من الأوراد التي تركها ابن أبي زيان لأتباعه مع بعض الوصايا الأكيدة هي : ملازمة الاستغفار مائة مرة في كل يوم مع النية بتجديد التوبة، والصلاة على النبي المصطفى " اللهم صلى على سيدنا محمد النبي الأمين وعلى آله وصحبه وسلم

---

[1] صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص202.
[2] المرجع نفسه، ص 203.
[3] صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص207
[4] المرجع نفسه، ص210.
[5] نفسه، ص211.

تسليما" والله ألف مرة والمواظبة على ذلك كل يوم و الأحسن أن يكون بعد صلاة الصبح.[1]

7/3- الطريقة اليوسفية :

-نسبت الى أحمد بن يوسف الراشدي الملياني، أصله من قلعة بني راشد، (934هـ/1527م) وتخرج من مدرسة الإمامين : "محمد بن يوسف السنوسي" العالم الشهير وصاحب التآليف المفيدة، و"أحمد زروق البرنسي" المتوفي في سنة 845هـ وصاحب الطريقة الزروقية.[2]

- تمتع "أحمد بن يوسف الراشدي الملياني" بصيت واسع على انه من الاولياء الصالحين ذوي البركة.وهومن اكثر شيوخ التصوف تأثيرا في العقول في عهده وما بعد.[3]

لعبت الطريقة اليوسفية دورا سياسيا بارزا داخل الجزائر وفي المغرب الأقصى زعزع سلطة الدولة في البلدين وأثر عليها تأثيرا كبيرا مما جعل أمير فاس يبين على اتباع هذه الطريقة حربا لا هوادة فيها كما كان لتحالف بين الطريقة اليوسفية والحكم العثماني دور كبير في تدهور أوضاع لدى الزيانيين[4]

كان الشيخ ابن يوسف يعلم مريديه الأذكار و الأوراد التي يقرؤونها في

حلقات جماعية وكان يقول عن السيحة :"إنها كالمهماز للفرس وأن الله قد أحيا به طريق أهل التحقيق "، ويقول : " إن الله قد استجاب له في ثلاثة أمور هي : " العالم بدون مشقة، بلوغه فوق مبلغ الرجال، رؤية الرسول في اليقظة لا في المنام".[5]

---

[1]نفسه، ص213.

* واحة بجنوب غرب بشار تبعدها بـ 17 كلم.

[2]نفسه، ص223.

[3]L. Rinn. Les Marabaut, Opcit. P ;480.

[4]صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، 224.

[5]نفسه، ص225.

8/3- الطريقة الدرقاوية :

- نسبة الى مؤسسها الأول الشيخ محمد العربي بن أحمد بن الحسين بن محمد بن يوسف الملقب بأبو درقاوي الشريف الإدريسي.[1] ولد في قبيلة بني زروال بضواحي مراكش (1150هـ/ 1737م) ، اشتهر بالاستقامة والزهد في متاع الدنيا واحتقار السلطان، أسس زاوية له في بوبريج، وطريقته تستمد أصلها من الطريقة الشاذلية.[2] ، انتشرت في غرب الجزائر "وهران ، مستغانم، الونشريس، تلمسان، تيارت "، في بداية القرن التاسع عشر على يد "عبد القادر بن الشريف" الذي قام بثورة على الأتراك وبآيات الغرب الجزائري دامت أكثر من عشر سنوات.[3]

وأعلنت الطريقة كذلك الثورة على الأتراك في شرق الجزائر بقيادة "محمد بن الأحرش" الذي أيده بعض المرابطين، بقيت الطريقة وراء الكثير من الثورات التي قامت ضد الحكم العثماني والاحتلال الفرنسي فيما بعد[4] ، وقد بلغ عدد زوايا الطريقة الدرقاوية سنة 1882م، 32 زاوية، و 268 مقدم و 1474 مريد.[5]

ومن زواياها في الجزائر زاوية "سيدي عدي" قرب تيارت 4000 مريد تسيرها عائلة "غلام □"، وزاوية معسكر تديرها عائلة "شنتوف".[6] ومن أهم فروعها الكتانية والهبرية والحرافية.

9/3- الطريقة الطيبية :

- أسسها مولاي عبد الله ابراهيم (1089هـ / 1678)، ولد في قبيلة برج عروس ودرس في تيطوان وفاس انتشرت هذه الطريقة في الجنوب الغربي لولاية

---

[1] فيلالي مختار، نشأة المرابطين، المرجع السابق، ص53

[2] صلاح مؤيد، المرجع السابق، ص230

[3] فيلالي مختار، المرجع السابق، ص55

[4] صلاح مؤيد، المرجع السابق، ص231.

[5] L. Rinn. Les Marabout et khouans ,Opcit. P 236.

[6]

وهران ومعسكر وقسنطينة، وطريقته نسبت الى ابنه مولاي الطيب، كانت له علاقة طيبة مع الأتراك إذ نجد أحد بايات الغرب الباي حسين قام بشراء البساتين بمثقال من الذهب وجعلها وقف على الزاوية الطيبية بتلمسان سنة 1173هـ، أما في الشرق فقد مثل الطريقة محمد بن بكر مقدم الطريقة بقسنطينة 1314هـ.[1]

10/3- الطريقة الحبيبية :

- تنتسب هذه الطريقة الى مؤسسها محمد بن الحبيب الأمازيغي الإدريسي، ويتصل نسبه إلى الحسن البسط بن فاطمة الزهراء بنت سيد الكائنات،[2] ولد بقرية مدغرة ناحية فقيق "فاس" وفيها درس القرآن والعلوم العقلية والنقلية، أخذ الطريقة على يد "محمد بن علي الصوفي".[3] وإذا كانت الزاوية الأم توجد بمدينة مكناس فإن الطريقة انتشرت انتشارا واسعا في بعض جهات الجزائر، وأسست لها زوايا وأصبح لها أتباع خاصة في ورقلة وعنابة ومعسكر وقصر البخاري.

11/3- الطريقة العيساوية :

- تنتسب لمحمد بن عيسى الادريسي في مكانس من قبيلة سفيان، ولد 1467م، أسس الزاوية العيساوية بباب الباردين بمكناس.[4]

وانتشرت في بعض المناطق الجزائرية خاصة جنوب وهران وأم بواقي .[5] يشير "صلاح مؤيد " إلى أن فرقا عديدة انتسبت إلى الطريقة العيساوية لتمارس نشاطات بعيدة كل البعد عن تعاليم الطريقة العيساوية الإسلامية الأصلية التي نشرها شيوخ

[1] صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص229
[2] نفسه، ص258.
[3] نفسه، ص259.
[4] صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، 256
[5] محمد فريد، نبذة عن الزاويا في الجزائر والطرق الصوفية، جريدة الخبر، ع3928، ليوم 2003/11/06، ص13

هذه الطريقة في الكثير من البلدان ولكننا نجد في الوقت نفسه فرقا أخرى لا تزل تحافظ على مبادئ الطريقة وتعاليمها. وفي مدينة عنابة الجميلة تلتقي تلك الفرق.[1]

12/3 - الطريقة العلاوية :

- أسست هذه الطريقة من طرق الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي المستغانمي، توفي سنة 1333هـ/1916م في مدينة مستغانم المقر المركزي للطريقة العلاوية وللزاوية الأم.[2] هي أحدث الطرق الصوفية عهدًا، وآخرها تأسيسا وأكثرها دقة وتنظيما، فقد استعملت منذ تأسيسها أحدث وسائل الاتصال الحديثة، فقد أصدر عن الشيخ العلاوي رحمه الله أول صحيفة بعنوان "لسان الدين" بعاصمة الجزائر.[3]

شاهدت هذه الطريقة انتشارا كبيرا في جميع أنحاء القطر الجزائري كما استطاعت أن تتخطى حدود الوطن لتحقق انتشارًا أكثر في مناطق وجهات مختلفة من العالم : أوروبا، أمريكا، آسيا، إفريقيا حيث قامت بجهود كبيرة في الدعوة إلى الإسلام ونشر مبادئه، وتعاليمه السامية.

---

[1] صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص257.

[2] نفسه، ص263.

[3] نفسه، ص نفسها.

الفصل الثاني

"إيزابيل" والتصوف الجزائري

- إيزابيل ابرهارت (نبذة عن حياتها)
- مقتطفات من أعمال إيزابيل ابرهارت
- تجليات التصوف في أعمال "إيزابيل ابرهارت"

1إيزابيل ابرهاردت "نبذة عن حياتها "

-ولدت إيزابيل ابرها ردت، في 18 فيفري 1877م، في فيلا "فندت،FENDT" الواقعة في حي الكهوف في جنيف المدينة السويسرية المعروفة، وهو الحي الذي لا يزال إلى الآن يحمل اسمها.[1] " ابرها ردت Eberhardt " هو الاسم العائلي لوالدة أمها "نتالي ديماردير،N.De Moerder" وهي ألمانية من عائلة أرستقراطية.[2] تزوجت والدتها من "بول كارلوفيتش مواردار Paul Carlovitch De Moerder" وهو ضابط عسكري "تزار Tsar" أنجب معها أربعة أولاد "أولقا، نيقولاس، نتاليا، ولدمير Olga ,Nicolas, Natalalia, waldimir" فرت والدتها "نتالي" إلى روسيا مع مدرس أولادها "ألكسندر نيكولا ليفيتش Alexander, Nicolavitch" وهو ايضا كان أب لأسرة حيث نقل معه أولاده " أولقا، باولوا ، اليزابيث Olga, Paulawa, Elizabit " وفضل بقاؤهم في روسيا وفي 10 ديسمبر 1871 ولد "أوغستان Augustin" في جنيف .[3]

في 27 أفريل 1877، يتوفى الزوج الأول الجنرال "دومواردر" لأمها ليصير "تروفيموفسكي "الوصي على أولاده وأيضا المتصرف الوحيد في الثورة،[4] وبتاريخ 17 فيفري 1877، تولد إيزابيل ابرها ردت، لكن لم تصرح والدتها باسم والدها، فقد تباين بخصوصه كتاب سيرتها بين أن يكون مجهول الهوية وأن يكون باسم "فافا، vava" أو ربما يكون "آرثر رامبو،Arther Rimbaud" الشاعر الفرنسي المعروف(1854.1891م) وهو الطرح الذي تبنته الكاتبة الفرنسية "فرانسوا دبون، F.Deaubonne" في كتابها "تاج الرمل" الصادر عام 1967م، حيث تعتقد أن أب إيزابيل هو الشاعر الفرنسي الشهير، وتورد في هذا السياق جملة من الدلائل التي تثبت

---

[1] بوداود عمير، إيزابيل ابرها ردت، ياسمينة وقصص أخرى، دار الكتب القطرية، قطر، دط، 2015، ص5.

[2]نفسه، ص نفسها.

[3] جمال غلاب، إيزابيل ابرها ردت، الأعمال الكاملة، ج1،دت،ط، ص8.

[4]نفسه، ص نفسها.

اعتقادها، فهناك مثلا التشابه الكبير في ملامح وجهها، أضف إلى ذلك أن اسم "إيزابيل" هو نفسه اسم شقيقة "رامبو" وهي الأخت المفضلة لديه، وكان متعلقا بها بشكل لا يوصف،[1] وكذلك الجملة الواردة في أحد كتبها :"أنا أيضا سأموت مسلمة مثل أبي "إذ يقال أن "رامبوا" بعد رحلة ضياعه في وادي النيل يمكن أن يكون قد اعتنق الإسلام[2] وهو ما يذهب إليه أيضا "بيار أرنوا" والكاتبة الفرنسية "ف.دوبون" في حين أن الدلائل تشير إلى أباها هو الروسي "ألكسندر تروفيموفسكي" الذي كان وصيا عليها ومعلمها، هذا ما تذهب إليه الكاتبة الفرنسية "ادموندشارل ، E.Charle Roux" وهي التي كرست جزءا مهما من حياتها في البحث والتنقيب عن "إيزابيل ابرها ردت" وهكذا تميزت طفولة "إيزابيل ابرها ردت" ونشأتها بكثير من الغموض.

في أكتوبر 1895، تظهر ايزابيل ابرهاردت لأول مرة على صفحات مجلة "جديدة" بمقال "رؤية للمغرب"باسم مستعار "نيقولاس بودولنسكي، Nicolas Podolinsky"[3] وفي 19 أكتوبر 1896، ختمت مراسلتها مع الشيخ "أبو نضارة" الرجل صاحب النظارات الزرقاء وهو عالم جليل مصري في الفقه والاقتصاد والسياسة والذي يعيش في المنفى في باريس.[4]

وفي ربيع 1897، "علي عبد الوهاب" الابن الأكبر لحاكم المهدية التونسية يبادر إلى مراسلة "إيزابيل ابرها ردت" بعد أن يرى صورتها على صفحة المجلة الجديدة التي عثر عليها على مكتب صديقها "أبو نضارة"[5]

بعد أن التحق شقيقها بجيش الاجانب للجزائر قررت تعلم اللغة العربية واللهجات القبائلية وربما كان أول مرة تسمع أخبار الجزائر وكذلك الرسم لتتمكن من اعداد

---

[1]بوداود عمير، المرجع السابق، ص 6.
[2] حسن دواس ، إيزابيل ابرها ردت، نحيب اللوز، مزدوج للنشر والتوزيع، ص19.
[3] نفسه، ص نفسها.
[4]جمال غلاب، المرجع السابق، ص9.
[5]نفسه، ص نفسها.

الرسومات التخطيطية الضرورية للرحالة،[1] أما رحلتها الى شمال افريقيا فتجسدت في المغامرة والسفر أولا عن طريق الكتابة بمساعدة أخيها الذي كانت تتبادل معه الرسائل ويصف لها يومياته للجزائر،[2] في شهر ماي1897 تختار هي ووالدتها الاقامة في مدينة عنابة الجزائرية حيث وافتها المنية في عام 1897 وتم دفنها (نتالي) طبقا لتعاليم الشريعة الإسلامية، بعد أن تسمت باسم "فاطمة منوبيا"[3] وفي بداية شهر ديسمبر 1897، عادت إيزابيل إلى جنيف وفي نفس الفترة نشرت ثاني مقال لها على مجلة "الباريسيان" الفرنسية بعنون "ظلال إفريقيا" وتعلن اعتناقها الإسلام وتوقعه باسم مستعار "نسي محمود"،[4] تزوجت "إيزابيل ابرها ردت" مع أحمد رشيد التركي والمناضل في الحركة الشبانية في 1898 ، ولكن سرعان ما آل هذا الزواج بالفشل أما إيزابيل فاشتغلت على كتابة رواية "راخيل" ثم توقفت واستأنفت كتابتها في 1900م[5] ورحلت في نفس الفترة مع أخيها "أوغستان" من مرسيليا إلى تونس وهناك التقيا ب"عبد الوهاب" ،ثم رحلت إلى مدينة باتنة وأقامت في "واد سوف" الواقعة جنوب شرق الجزائر، ثم عادة إلى تونس وخلال شهر سبتمبر قضت شهرا في الساحل التونسي، ثم انتقلت إلى مرسيليا بعدها باريس وبعدها يحدث الانقطاع بينها وبين "عبد الوهاب".[6]

ومن تونس تتابع رحلتها لوحدها الى الجزائر العاصمة مرة أخرى، وذلك عام 1900م، ومنها تسافر إلى تقرت ثم الوادي، حيث تعرفت على "سليمان هني" أحد الفرسان المسلمين المنخرطين في الجيش الفرنسي،[7]تزوجت به وانضمت الى الطريقة القادرية، وفي تاريخ 29 جانفي 1901م، تعرضت إلى محاولة اغتيال جرحت جرحا بليغا لكنها نجت من الموت بعد عملية جراحية ناجحة في مستشفى "العويد"،[8] بعد هذه

---

[1] حسن دواس، المرجع السابق، ص32.

[2] حسن دواس، المرجع السابق، ص22.

[3] جمال غلاب، المرجع السابق، ص9.

[4] نفسه، ص نفسها.

[5] جمال غلاب، المرجع السابق، ص9.

[6] نفسه، ص10.

[7] حسن دواس، المرجع السابق، ص25.

[8] نفسه، ص نفسها.

الحادثة نفيت إلى مرسيليا ليلتحق بها زوجها (سليمان) ويسجلا عقد الزواج المدني وتتمكن من حيازة الجنسية الفرنسية، ثم ينتقلا إلى العاصمة الجزائرية ويقيمان في حي القصبة وفي هذا الحيز الزمني "إيزابيل" تكفلت بسليمان لإعداد مسابقة مترجم.[1]

كان رجوعها إلى الجزائر انطلاقة جديدة لاختراق الرمال في اهتمام خاص بالمياه من ينابيع وأودية والناس وعاداتهم ونمط حياتهم.

في جوان 1902، انتقلت إلى "زاوية الهامل" عبر مديني مدينة مسيلة وبوسعادة، وهناك أقامت أياما في خلوة "لالا زينب" شيخة الطريقة الرحمانية، وفي جويلية تم تعين زوجها (سليمان) سكرتير مترجم ببلدية تنس الساحلية، وفي نفس الفترة تعاونت مع جريدتي الجزائر والأخبار.[2] وفي جانفي 1903، انتقلت ثانية إلى مدينة بوسعادة لزيارة لا زينب وبدأ من شهر أفريل إلى شهر جوان تعرضت وزوجها إلى حملة كلونيالية عبر الصحافة.[3] انتقل سليمان للإقامة في سطيف بينما هي انتقلت من الجزائر العاصمة إلى الجنوب الوهراني لتنقل وقائع "حرب المقار" للشيخ بوعمامة من تاغيت[4]، وفي جانفي 1904، سافرت الى مدينة وجدة المغربية وعادت في شهر ماي إلى الجنوب الوهراني وأقامت أياما في زاوية الشيخ بوعمامة بالحمام الفوقاني.[5]

وفي شهر سبتمبر عادة الى عين الصفراء بسبب مرضها وللعلاج وانتقل معها أيضا زوجها سليمان.

- توفيت "إيزابيل ابرها ردت" في مدينة عين الصفراء إثر فيضان وادي المدينة في 21 أكتوبر 1904م ، وقد عثر عليها تحت أنقاض المنزل الذي كانت تقطنه مرتدية كعادتها ثياب فارس عربي وهكذا دفنت في مقبرة المسلمين المعروفة باسم "سيدي

---

[1] جمل غلاب، المرجع السابق،ص10.
[2]نفسه، ص11.
[3]جمل غلاب، المرجع السابق، ص 11
[4]نفسه، ص نفسها
[5] حسن الدواس، مرجع سابق، ص29.

بوجمعة" في المدينة ذاتها حيث لا يزال قبرها قائما **إلى الآن.**[1] التحق بها "سليمان" **إلى** الرفيق الأعلى في 4 ابريل 1908**م.**

[1] بوداود عمير، المرجع السابق، ص32.

2- مقتطفات من أعمال ايزابيل ابرهاردت :

« la vie est non pas seulement une lutte perpétuelle contre les

Circonstances, mais bien plutôt une lutte incessante contre nous-mêmes. C’est une vérité vieille comme le monde, mais les trois quarts des hommes l’ignorent ou n’en tonnent aucun compte : de là les malheureux les désespérés et les malfaisant. »[1]

«الحياة ليست فقط مقاومة خالدة ضدّ الأحداث بل هي مقاومة من دون نهاية ضد أنفسنا.

هذه حقيقة قديمة مثل العالم، لكن ربع الناس التعساء، واليائسين، وفاقدي الأمل لا يأخذون هذا بعين الاعتبار."[2]

[1]Eberhardt, Isabelle, Œuvres complète. Ecris sur de sable (récits, notes et journaliers) , paris, grasset, p.391.

[2]ترجمة شخصية.

تركت "إيزابيل ابرها ردت" بعد وفاتها عدة أعمال مخطوطة وأخرى منشورة في الجرائد والمجلات، وتعتبر أعمالها وثائق شاهدة على العصر وعلى فترة مهمة من تاريخ الجزائر.[1] إذ يعود الفضل الكبير في جمع وترتيب مؤلفاتها إلى صديقها "فيكتور بريكون، V.Barrucand" صاحب جريدة "الأخبار" وهي صحيفة كانت تصدر آنذاك باللغتين: الفرنسية والعربية، عرف عن خطها الافتتاحي وقوفها إلى جانب الشعب الجزائري وفضحها الممارسات الاستعمارية، ومن بين هذه المؤلفات : " في الظل الدافيء للإسلام" وهو كتاب قام بمراجعته وتقديمه "باريكون" وقد أصدره عام 1905م[2] هذا الكتاب عبارة عن مجموعة من النصوص تتكلم فيها الكاتبة عن رحلتها إلى زاوية القنادسة، تقول " ادموندشارل" وهي كاتبة من الطبقة الارستقراطية الفرنسية ابنة سفير وزوجة وزير، وقد اهتمت بصفة خاصة بالكاتبة، واقتفت آثارها، وكتبت سيرتها بأدق تفاصيلها، وهي باحثة في كل ما يتعلق بإيزابيل عن هذه الرحلة :"كانت الرحلة التي قامت بها "إيزابيل ابرها ردت" مغامرة حقيقية، كان هدف إيزابيل أن تتجاوز ونيف وبشار، بعيد إلى الجنوب...من سرلس إلى سرلب حتى وصلت إلى ما وراء اثبلت الكثبان الغربية تتوجها الحجارة التي تنذر بسقوط في كل لحظة، تتبع الأودية المنخفضة حتى قنادسة ذلك القصر الذي تحيطه أسوار من الطين الداكن اللون بلا فتحات رمي، ولا شرفات.... ما كان تائه معزول عن العلم، حتى أنك تشعر وأنت هناك وكأنك على حفة الوجود. كانت قنادسة مركزا أخوية صوفية - أخوية الزيانيين – التي كانت زاويتها الأقوى والأكثر تأثيرا في المنطقة تعلم "ايزابيل" ان هذه الزاوية توجد خارج الحدود، وأن الناس هناك يخضعون لسيادة سلطان فارس"[3]

---

[1] حسن دواس ، المرجع السابق، ص31.
[2] بداود عمير، المرجع السابق، ص31.
[3] بشير خلق، الطريق إلى قنادسة....أوفي ظلال الإسلام الدافئة، 21/03/2013
www.as de senaualituat.clchamal.com/ar/?p:988a:32743

نصوص هذا الكتاب عددها 57 نصا أولها نص : "الابتعاد، Eloignement " تفاوتت نصوصه ما بين الطول والقصر، طولها لا يتعدى أربعة صفحات كنص في "ضيافة الطلبة" واقصرها لا يزيد عن الصفحة الواحدة كنص "عطر الواحات".

أ- من نصوص كتاب :"تحت ظلال الإسلام الدافئة"

1-من نص «الابتعاد éloignements» :

"....في دروب طويلة تخف تموجات الكثب، بين أشجار أحور ذات الجذوع البيضاء، وأنا أستعيد وأستنشق رائحة النسغ، والصمغ شعرت كأنني آتية في غابة حقيقية....هو شعور لطيف جدا، ونقي يضفي عليه أحيانا باقة من الأكياس المزهر نفس من الشهوانية....كم أحب ذلك الاخضرار الكثيف لجذوع أشجار التين المليئة حياة وحليبا مرّا المغضنة كأنها جلد فيل، والتي تظن من حوله خراشيم الذباب الذهبي اللون ...."[1]

النص الأصلي :

« ….parmi les peupliers à troncs blancs, en long sentiers, suivant les premières ondulations de la dune, avec des parfums retrouvés de sève et de résine, j'ai l'illusion de me perdre en forêt. C'est une sensation Très douce et très pure que teinte pate moments de sensualité l'haleine plus lointaine d'un bouquet D'acacias en fleurs. Que j'aime la verdure exubérante et les troncs vivants, plissés d'une peau D'éléphant, de ces figuiers gonflés de lait amer , autour desquels bourdonnent des essaims de mouches dorées »[2]

---

[1] بشير خلف، المرجع السابق، ب صفحة.

[2] Isabelle Eberhardt, Dans l'ombre chaud de l'islam, édité par Bourlapapey, bibliothèque, numérique, édité par Victor Barrucand, 1921, p7.8.

2- من نص : "عطر الواحات le parfum des oasis "

"اختفت البحيرة الغربية بعيدا، بقيت بعض البرك وحيدة، مزق من الأزرق المتناثر على الرمل الأصهب. ولكن ظل غابة النخيل بدأ يغري دوابنا، وصلنا أخيرا تحت أقواس النخيل المتراصة وبدأت أحصنتنا تمتد مناخيرها نحو الماء الحقيقي في الواد العريض الذي يصل إلى منتصف قوائمها تحت أغصان الأسل.

يا لها من راحة نفسية وفرحة جسدية تماما حين دخلنا في الظل أين تهب نسمة خفيفة ندية قليلا، وأين شعرت أعيننا بالراحة ونحن ننظر إلى أخضر النخيل، وأزهار الرمان الدامية، وباقات الغار الوردي .... بعد الماء الوهمي، طعم الحقيقة العذبة....."[1]

النص الأصلي :

« le lac mystérieux a disparu. Au loin, quelques flaques subsistent seules, lambeaux d'azur éparpillés dans les sables fauves .Mais déjà l'ombre de la palmeraie tente nos montures .Nous arrivons enfin sous les arceaux serrés des dattiers, et nos chevaux allongent leurs naseaux saignants vers de la vrai eau, en entrant à mi-jambe dans l'oued très large au milieu des joncs-Quels soulagement, quelle joie toute physique, cette arrivée à l'ombre, où la brise est un peu fraiche, où nos yeux douloureux se reposent sur le vert profond des beaux palmiers, sur les grenetiers au fleurs de sang et sur les lauriers-roses en touffes.

Après l'eau de mensonge, le gout de la vérité. »[2]

[1]بشير خلف، المرجع السابق، ب. صفحة.

[2]Op Cit. p35.

3- من نص "صلاة الجمعة، "Prière du vendredi

"اليوم هو يوم الجمعة، يوم الذهاب إلى المسجد لحضور الصلاة العامة، بعد منتصف النهار بقليل، في تراخ وصمت القيلولة من بعيد جدا كان ذلك في حلم، وصلني صوت بطيء : إنه أذان "الزوال"....النداء الأول للصلاة.

.....وصلنا أخيرا .دخلنا إلى القصر أين بقي شيء من الظل أشكال تقدمنا، وأخرى تسير خلفنا، جمع كبير صامت تقوده نفس الفكرة. حين يمر المؤمنون، يرتل المتسولون الأكفاء تضرعاتهم. كان علينا تخطي سياج المسجد الذي تسّده عوارض مرتفعة لمنع الأطفال والدواب من الدخول. ينزع المسلمون هنا بنفس الحركة، نعالهم الصفراء، ويمسكونها في أيديهم.... تختلط كل هذه الأصوات، أصوات الرجال الخفيضة والتي منها ما هو صافي جميل، والتي تطغى على باقي الأصوات ، وأصوات الصبيان الرقيقة في همس عظيم مبهم، وفي إيقاع رتيب وحزين، ينطفئ تدريجيا، يمتد هذا النشيد المهدهد، ويصعد وهو يحمل في طياته الشعور بالديمومة في جناح المسجد المدوي. ثم فجأة ومن أعلى المأذنة يطلق المؤذن النداء الثاني، يبدو صوته وكأنه ينزل من فلك مجهول لأنه بكل بساطة يأتي من مكان مرتفع وغير مرئي....ثم و نحن في تلك الحالة النفسية الغريبة تجدنا دائما على حافة الروعة."[1]

النص الأصلي :

« Aujourd’hui vendredi, sortie à la mosquée, pour la prière publique. Un peu après midi, dans l’accablement et le silence de la sieste, de très loin, comme en rêve, Une voix trainante me parvient : c’est le « Zoual » le premier appel….Enfin nous arrivons. Entrons dans le ksar, où persiste un peu d’ombre. Des formes nous précédent, nous suivent, une foule sans paroles, conduite par la même pensée-Sur le passage des fidèles, des mendiants aveugles psalmodient leur supplication –

[1] بشير خلف، المرجع السابق.

(Ile nous faut enjamber) la clôture de la mosquée barrée assez haut d'une poutre, pour empêcher enfants et bêtes d'entrer.(Du même geste, ici tous les musulmans) retirent leurs savates jaunes et les portent à la main. (à notre tour) nous traversons la cour, pieds nus, coursant presque pour échapper à l'intolérable brûlure du sable surchauffé….et toutes ces voix, les voix graves des hommes, quelques-unes très pures et très belles qui dominent les autres, et les voix claires des enfants se mêlent en un grand murmure confus, sur un air monotone et mélancolique, aux finales tombantes ….[1]

(Comme il se traine et comme il monte, et quelle sensation de durée il porte en lui), ce chant berceur dans la nef sonore ! Puis, tout à coup, là –haut, sur le minaret, le mouaddhen clame son second appel, Sa voix semble descendre des sphères inconnues, simplement parce qui' il est très haut et parce qu'on ne le voit pas. (Et d'ailleurs, ici, par une singulière disposions d'esprit, nous sommes toujours sur la marge du merveilleux)[2]

4-"ياسمينة وقصص أخرى "Yasmina et d'autres nouvelles.

واحدة من المؤلفات التي قام بنشرها "روني لويس دواوين، Renée louis Doyon" عام 1925م.[3] ، ترصد قصص هذه المجموعة المنشورة ميل

[1]Op Cit, p78, 79.
[2]Op Cit, p 80.

[3] بشير خلف ، مرجع السابق.

"إيزابيل ابرها ردت" إلى حالات الإحساس بالوحدة التي تمهد لنشوة مولد جديد، ففي قصة "ياسمينة" تصطدم رقة الشعور بصلف الجمود الحضاري، معلنا سوء تصريف الحيوات في ظلمات الأقدار، فياسمينة البدوية التي تترعرع في وسط طللي جنائزي، منحها فيضا من القدرية والحلم ، تلتقي في ربيعها الرابع عشر، بضابط فرنسي شاب ذي روح مغامرة وحالمة، يرى كل شيء فيها مطبوعا بسحر يكاد يكون صوفيا، فراغ فؤاده الخارج لتوه من دائرة الغموض البهيج للمراهقة، حياته منعزلة بعيدا من مسقطه ، يقذفانه نحو المجهول المربك لهذه المغامرة البدوية، فيحبها، يقترن اللقاء الجسدي باستثارة روحية حادة تخرجهما من عوالم الظلام. بيدان ما يحبه الملازم في ياسمينة هو الكائن الخارجي بمخيلته، وغبر المشابه للواقع والحقيقة، لذلك سهل عليه نسيانها حين ينقل غلى مكان آخر مؤثرا المنصب والأشياء الأوروبية التي تسيطر باستبداد على حياته، والتي لا يمكن لياسمينة أن تفهمها لأن ذهنيتها البسيطة الجاهلة، لم تبدأ بإعمال فكرها إلى بعدما أحبت، تبقى في انتظاره رغم زواجها من "الأعور" تمر خمس سنوات، يشاء القدر أن يلتقيا ثانية، تمنت عند إذن أن تراه ميتا، كي تعيش ثانية ساعات الماضي الغامرة بالوجد والسعر، ساعات النشوة والحب والنصر

من نص: "الياسمينة Yasmina».

" عاشت في موقع جنائزي، يحيط بجوانبه الخراب، حيث تخفق روح غريبة لألفية ملغاة من الزمن. لقد امضت طفولتها هنا بين الأطلال الرمادية، ضمن غبار وآثار تجهل ماضيها، تعلمت بين الرتابة الكاملة لهذه المواقع، معاني القضاء والقدر والحلم الغريب، كئيبة بين الجميع قريناتها من البنات، كانت "ياسمينة البدوية"....كان هناك في "باتنة" ملازم شاب انتدب لـ"مكتب العرب" قدم حديثا من فرنسا وقد طلب المجيء إلى الجزائر، ذلك أن حياة الثكنة التي قضاها لمدة سنتين عقب خروجه من (سان سير) بعثت فيه الكثير من الضجر، كان يحمل روح الحلم والمغامرة .....فجر كل أحد، كان يعبر على سبيل الصدفة الطرق الواغرة للسهل تارة، وتارة أخرى ويعبر الدروب الصعبة للجبل.

في احد الأيام قد أصابه إرهاق في منتصف النهار، دفع بحصانه نحو الوادي المتوحش، حيث تحرس "ياسمينة" غنمها جالست تحت ظل صخرة، يميل لونها إلى الاحمرار، وحيث ينمو شجر العرعار العطر، كانت "ياسمينة" تلهو، شاردة الذهن بعيدان خضراء، تردد أغان بدوية كما الحياة تتجاوز فيها الحب والموت، كان الضابط مرهقا، وقد هدّأ الشعر المتوحش من روعه قليلا، عندما عثر على موقع ظليل لحصانه، تقدم صوب "ياسمينة" لم يكن يعرف كلمة واحدة بالعربية، سألها بالفرنسية : - هل يوجد ماء هنا؟

دون أن تجيبه، نهضت "ياسمينة" تهتم بالانصراف قلقة مذعورة، أو تكاد......"[1]

« Elle avait été élevée dans un site funèbre où, au sein de la désolation environnante, flottait l'âme mystérieux des millénaires abois.

Son enfance s'était écoulée là, dans les runes grises, parmi les décombres et la poussière d'un passé dont elle ignore tout.

De la grandeur morne de ces lieux, elle avait pris comme une surcharge de fatalisme et de rêve.

Etrange, mélancolique, entre toutes filles de sa race, telle était « YASMINA » la Bédouine…

Il y avait alors à Batna un jeune lieutenant, détaché au Bureau Arabe, nouvellement débarqué de France. Il avait demandé à venir en Algérie, car la vie de caserne qu'il avait menée pendant deux ans, au sortir de Saint-Cyr, l'avait profondément dégouté. Il avait l'âme aventureuse et rêveuse… Tout les dimanches, seul, il s'en allait à

[1] بوداود عمير، المرجع السابق، ص 35.42.

l'aube, suivant au hasard les routes raboteuse de la plaine et parfois les sentiers ardus de la montagne. Un jour, accablé par la chaleur de midi, il poussa son cheval dans le ravin sauvage où Yasmina gardait son troupeau.

Ainsi sur une pierre, à l'ombre d'un rocher rougeâtre où des genévriers odorants croissaient, Yasmina jouait distraitement avec des brindilles verte et chantait une complainte bédouine où, comme dans la vie, l'amour et la mort se côtoient.

L'officier était las et la poésie sauvage du lieu lui plait.

Quand il eut trouvé la ligne d'ombre pour abriter son cheval, il s'avança vers Yasmina et ne sachent pas un mot d'arabe, lui dit en français : -Y-T-IL L'EAU, PAR ICI ?

Sans répandre, Yasmina se leva pour s'en aller, inquiète, presque farouche ….. »[1]

" نحيب اللوز، Pleurs d'amandiers"

-تضيف هذه القصة نشوة الوحدة الغربية عبء الشيخوخة المتهالكة في انتظار ساعات الرحيل

من نص "نحيب اللوز":

---

[1]Isabelle Eberhardt, Au pays des sables, éditer par bourlpapey, bibliothèque numérique, édité par René louis Doyon, 1896-1906.p.16,21.

" ...انه الربيع و تحت مظاهره الذبول،ورقة الأشياء الشجية' تنام الحياة كامنة عنيفة طافحة بالحب و الشوق، يتدفق النسغ الغامر من ينابيع الأرض الخفية...يخيم صمت مدائن الجنوب على بوسعادة ففي المدينة العربية يندر المارة غير أنه في الوادي تتجول كوكبة من النساء و الغيبات في أثواب ساطعة ... منذ سنوات لم يبرحا مكانيهما أمام كوخ الطين المجفف تحت الشمس الصديقة، من الصباح حتى المساء، كانت العجوزان ترتديان ملحفتين داكنتي الحمرة يشكل صوفهما الكث ثنايا ثقيلة حول جسديهما المومياثيين... حين كانتا في عز شبابهما، سعدية ذات الوجه الدقيق المسفع و الأنف المعقوف، و حبيبة البيضاء النحيفة كانت فتنة ليالي بوسعادة وأيامها وسحر البدو....."[1]

النص الأصلي :

« …C'est le printemps et sous ces apparences de langueur et de fin attendri des choses, la vie couve, violente, pleine, d'amour et d'ardeur, la sève puissante monte des réservoirs mystérieux de la terre, pour éclore bientôt en une ivresse de renouveau… le silence des cités du sud règne sur Bou-Saada et dans la ville arabe, les passants sont rares. Dans l'oued pourtant, circulent parfois des théories de femmes et de fillettes en costumes écalant…depuis des années, devant une masur en boue séchée au soleil ami, deux vieilles femmes sont assises du matin au soir, Elles portent des mlahfa rouge sombre, dont la laine épaisse forme des plis lourds autour de leur corps de momies … Quand elles était jeunes, Saadia

[1] حسن دوايس، المرجع السابق، ص40.41.42.43.

à la fine figure aquilins et bronzée, et Habiba blanche et frêle, charmaient les loisirs des Bou-Saada et des nomades… » [1]

من نص "الغريمة La rivale " :

" في أحد الصباحات توقفت الأمطار المشجية فجأة وأطلت الشمس في سماء صافية صراح، ذات زرقة بالغة، وقد اغتلمت من أبخرة الثناء الباهتة....هناك بعيدا تبسط أجنحة الزوارق النابوليثانية الشاحبة على موج الخليج الهادي....في الجهة المقابلة كان المشهد الكبير للجزائر وهو يدعوهما إلى احتضار لذيذ.......لماذا الرحيل ، لماذا البحث عن السعادة في مكان آخر ، والمتشرد يعثر عليها هنا بصورة لا حد لها في ثمر البرقوق المتغير للحبيبة، حيث يغوص بنظراته طويلا، طويلا إلى أن تسحق كآبة الشهوة القصوى روحيهما؟[2]

النص الأصلي :

« Un matin, les pluies lugubres cessèrent et le soleil se leva dans un ciel pur, lavé des vapeurs ternes de l'hiver , d'un bleu profond ….Au loin, les ailles pâles des barques napolitaines s'éployèrent sur la moire du golfe tranquille…En face, c'était le grand décor d Alger gui les conviait à une agonie douce…..pourquoi s'en aller, pourquoi chercher ailleurs le bonheur, puisque le vagabond le trouvait là, inexprimable, au fond des prunelles changeantes de l'ainée, ou il plongeait ses regards longtemps longtemps, jusqu'a ce que l'angoisse

---

[1] Isabelle Eberhardt, pleurs d'amandiers, édité par Gué zou, bibliothèque numérique, 1997, p.28.

1نابتي علي، موقع فارسة الرمل إيزابيل ابرها ردت، 2017/05/1 Ghanami.blogspot.com/search/label.

indicible de la volupté broyât leurs retraite étroite étroite S'ouvrait sur l'houzon immense, quand ils sentaient l'univers se résumer en eux-mêmes ? »[1]

حاولت "إيزابيل" من خلال كتاباتها رصد الحياة وعادات المجتمع الجزائري، أحلامه وآماله، ومعاناته، تبنى قصصها غالبا على ثنائيات متناقضة متعددة، انغماسها في تحليل الحياة الإنسانية دفعها لإدانة التميز الذي تفرضه الشؤون السياسية، والسب المخزي والفاضح للسكان الأصليين، أما شغفها بالذهاب إلى عمق الأشياء عشقها للفضاءات الرحبة، ظمأها للاستكشاف المجهول جعلت منها أول امرأة مراسلة حرب في نهاية الفرن التاسع عشر، حتى الآن وبعد مرور قرن على وفاتها لا يزال الكتاب ينشرون كتبا عن أعمالها وشخصيتها الأسطورية المتميزة، حيث تعتبر أعمالها وثائق شاهدة على العصر وعلى فترة مهمة من تاريخ الجزائر، محمد رشد ألف كتاب "إيزابيل المغاربية بالتبني" و "السفر الأخير في الظل الدافئ للإسلام" الصادر عن مؤسسة الوطنية للكتاب في الجزائر، سنة1991م.[2] وترجم "روبرت بونونو Robert Bonnono " كتابها "رسائل ويوميات،

Seven years in the life of a letters and journals, Isabelle Eberhadt »

كما ترجمت شارون بانغرت، sharon Bangert ، " تحت ظلال الإسلام الدافئة، in the shadaw of Islam " ، وصدرت في أكتوبر 1994، عن أوون بيتر، كما ترجم "ميغل فرونتان، Miguel Frontane" قصصها إلى الاسبانية.[3] أما بالفرنسية فقد صدر العديد من الكتب عن "إيزابيل" وتم اعادة طبع أعمالها الكاملة، الكاتبة "ادموند شارل" وحدها أصدرت ثلاثة حول حياتها وأعمالها :

"شوق إلى الشرق، Désir d'orient"

---

[1] نفسه.
[2] بوداود عمير، المرجع السابق، ص30.
[3] حسن دواس، المرجع السابق، ص10.

"شباب إيزابيل ابرها ردت La jeunesse D'isabelle"

ثم "رحالة كنت، السنوات الإفريقية Les années Africaine

"Nomades j'étais" ثم "إيزابيل الصحراء، Isabelle du désert[1]" ، ولم يتوقف الأمر عند العمل الأدبي فحسب، بل امتد هذا الاهتمام ليشمل المسرح والسينما كذلك، قام المخرج الجزائري " جعفر الدمرجي" بإخراج فيلم عنها بعنوان "الترحل، Errances" من بطولة الفنانة الألمانية "كادرين هارفوتش C.Harfotch " وعبد الحميد شابوني"[2]

وفي سنة 1991 قام "ايان بربنغل Iam Pringle" بإخراج فيلم، من إنتاج فرنسي استرالي يحمل اسم "إيزابيل ارهاردت" من بطولة "ما تيلدا ماي، Mathilda May" و"بيتر أوتول، peter Otoole "

- تجليات التصوف في أعمال "إيزابيل إبرها ردت" :

شاءت فارسة الرمل "إيزابيل إبرها ردت" أن تعيش حرة، وأن تخترع ككتابة عالمها وحكايتها، ضربت عصا الترحال في الصحراء العربية الإفريقية، هذه الشابة لم تسفر عن حقيقة جنسها وعما حباها الله، إنما تنكرت وهي تتجول في أنحاء البلاد بهيئة شاب عربي، أحبت أرض الجزائر بكل جوارحها، وآثرت أن تعيش حياة البداوة على البقاء في وسطها الأرستقراطي، ووجدت في الإسلام ضالتها، لم يكن إعتناقها للإسلام في البداية ثمرة جدال عقائدي أو رهان فكري أو حصيلة نقاش مع آخرين، بل كان نداء خفيا حدسيا وإستجابة روحية ، كما كان بديلا عن هذا الكدر الحضاري الغربي، وقد وجدت في الإسلام الفرصة الأخيرة لإنقاذ الحضارة الأوروبية التي تحولت إلى مصنع كبيرا انحسر فيه الجمال لصالح المال، كتبت رسالة مؤرخة في عنابة، خلال صيف 1827 إلى صديقها "علي عبد الوهاب" تقول :"....إليك أنت - عزيزي علي –سأكشف له أسرار روحي، ليس لأني خجولة من اعتناقي على ديانة أحببها وأحترمها من

---

[1]نفسه، ص11.
[2]بودواد عمير، المرجع السابق، ص32.

الأعماق، ولكن لأنني أعرف أنك الإنسان الوحيد الذي يتفهم مواقفي وأنك لا تستقبل تصريحي بالشكوك كما يفعل بعض المسلمين أو بازدراء وسخرية كما يفعل المسيحيون جميعهم، الآن لست أبدًا ملزنة بأن أكون مسلمة أن أرتدي "قندورة" وأبقى منزوية، هي تعاليم تم فرضها على المسلمين قصد حمايتهم من السقوط المحتمل ومحافظة على طهارتهم، وهكذا يكفي ممارسة هذه الطهارة، ويكون العمل محل تقدير، لأنه حرّ وغير مفروض....."[1]

يعيد الكتاب أحد الأسباب العميقة للتوجه التصوفي لدى "إيزابيل ابرها ردت" إلى رغبتها في نبذ الحضارة الغربية المادية ذات الطابع الاستعماري، لا سيما أنه كان قد زاد في غربتها واقع أنها لم تعرف آباها أبدا، هكذا قررت الذهاب لاكتشاف أهل الجنوب الذين سيصبحون بعد ذلك أبطال كتاباتها وعبر هذا الاكتشاف، اكتشفت أيضا "الثقافة والمعتقد الإسلاميين".[2] قد يتساءل أي باحث أو مهتم بهذه الرحالة "إيزابيل " ما الذي دفع فتاة أرستقراطية من جنيف كي تدير ظهرها للحضارة الغربية كي تلج دروب مغامرة لا تعود منها في قلب التصوف الإسلامي؟

بالاعتماد على ما كتبته "إيزابيل إبرها ردت" نفسها حاول المؤلفان "ماري أوديل دولار Marie Odile Delacous، وجان رونيه هولو jean Renie Huleu "عام 2008 في كتابهما "الرحلة الصوفية لإيزابيل إبرها ردت" الإجابة على هذا السؤال عبر اقتفاء آثار مسيرتها الروحانية مرحلة بمرحلة، ومن خلال عملية التقصي هذه يلقيان الأضواء على النقاط الأساسية التي تشكل "الإنسجام الداخلي " لتلك المسيرة كلها و المصادر قوة صاحبتها.[3]

بدأت "إيزابيل إبرها ردت" رحلتها الصوفية انطلاقا من تجاربها الداخلية في مناطق جزائرية (الوادي، عين الصفراء، بشار، باتنة، واد سوف) حيث أنها بدأت

---

[1] بوداود عمير، المرجع السابق، ص26.

[2] أحمد زين الدين، إيزابيل ابرها ردت أغوتها الصحراء ووسمت أدبها، مجلة الحياة ، الخميس 31 تشرين الأول 213، 42 :17 بتوقيت غرينتش www.allagat.com/567269

[3] نفسه

التجربة بتنكرها كطالبة للمعرفة أو كساعية للبحث عن المعنى حتى وجدت نفسها منخرطة في محاولة التعرف على الإسلام حسبما عاشه معتنقوه في بداياته، ودفعها ذلك إلى حالة من التأمل في تاريخ 3 أوت 1400حيث أقامت في مدينة " وادسوف" انظمت للطريقة القادرية [1] ، في نفس السنة تعرفت على "سليمان هني" الرجل المسلم الذي أمضت بقية حياتها معه، تزوجت منه بعد قراءة "الفاتحة" حسب الطقوس الإسلامية، ففي 29 من شهر يناير عام 1901، نصب "أبو أحمد" رئيس الطريقة التيجانية التي تعادي الطريقة القادرية كمينا لمجموعة من الخيالة كانت "إيزابيل" ضمنها فجرحت جرحا بليغا لكنها نجت من الموت بعد عملية جراحية ناجحة، في مستشفى "العويد"[2] رغم أنها كانت ضحية الاعتداء غير أن السلطات العسكرية الفرنسية أصدرت توجيهات لـ "إيزابيل" كي تغادر الجزائر على أساس أن طريقتها في العيش وترددها على الإخوانيات الصوفية يثيران الحذر والتشوش، بعد نفيها إلى (مارسليا) تزوجت من " سليمان هني" مدنيا وعادا إلى الجزائر عام 1902، لكنها أخذت اسما مستعارًا "محمدسعدي" لتستطيع الدخول إلى الجزائر، بعدها استعادت اسمها الحقيقي كي تعيش كإحدى نساء الجنوب الجزائري المسلمات.[3]

شرحت دوافع حادثة محاولة اغتيالها وظروف وحيثيات القضية بعد أن تعرضت للنقد اللاذع والشكوك التي حامت حول إسلامها، تقول في مقتطف من رسالتها : "...طيلة التحقيق القضائي المتضمن محاكمة المدعو "عبد بن محمد" الرجل الذي حاول اغتيالي، أظهر الضباط المكلفون بالمحاكمة في أكثر من مناسبة، استغرابهم تصريحي بأنني مسلمة، وحتى إنتمائي للطريقة القادرية واستغرابهم أنني أرتدي ثيابا عربية، تارة بزي نسائي، وتارة أخرى بزي رجالي، وفقا للظروف والضرورة التي تقتضيها حياتي كرحالة، وحتى لا يفسر اعتناقي للديانة الإسلامية وارتدائي الثياب العربية تفسيرا خاصا، أصرح أنني لم أكن أبدا مسيحية ، ولم أتنصر قط، وإن كنت

---

[1] جمال غلاب، المرجع السابق، ص10.

[2] حسن دواس، المرجع السابق، ص25.

[3] حسن دواس، المرجع السابق، ص25.

روسية الأصل فإنني مسلمة منذ أمد بعيد، وإن أمي التي كانت تنتمي إلى طبقة النبلاء الروسية توفيت في بونة (عنابة حاليا)سنة 1897، بعد أن اعتنقت الإسلام، وهي مدفونة في مقبرة المسلمين هناك، في المدينة .....لست محتاجة أبدا إلى التظاهر بإسلامي، وليس سبب يدفعني للعب دور ما، كما أن إنضمام إلى الطريقة القادرية تم بمشاركة الشيخ سي محمد الحسين بورقلة .....أقول هذا لأرفع كل التباس يحيط بالعملية ، وحتى لا يفسر الاعتداء على أنه حقد مترمِّت على كل من هو مسيحي، ذلك أنني لست مسيحية وكل سكان منطقة "سوف" يعلمون ذلك، بما في ذلك عبد الله نفسه، الذي قام بالإعتداء....."[1]

وأثناء إقامتها في الوادي التي دامت سبعة أشهر، قامت بأعمال خيرية وانسانية، حيث كتبت في الرسالة ذاتها : ".....بعد حادثة الاعتداء، ولقت قلت في رسالتي الأولى إن أهل (سوف)، ومريدي الطريقة القادرية، وكذلك الطرق التيجانية قد أظهروا بالغ حزنهم العميق، وكامل تأثرهم بعد ما علموا بالحادث المؤلم .....لذا فأنا مدينة لهؤلاء من أهل وادي سوف الطيبين، وما يتصفون به من حنان ومودة وإخاء غمروني به خلال استطاعتي في معالجة السكان، بما لي من معرفة في الطب، من أمراض العيون المختلفة.... لقد وهبت نفسي لعمل الخير، وخير الإنسانية في كل مكان أوجد فيه....."[2]

وفي سبتمبر سنة 1903، شقت هذه الشخصية طريقا نحو عاصمة الجنوب الوهراني (العين الصفراء) كمراسلة لجريدة الأخبار، وباسم مستعار (سي محمود) ومرتدية بذلة الفارس العربي وهذا لتغطية أحداث (المقار وتاغيت) بولاية بشار، وأحداث قمع سكان قصر (صفيصيفية).فكل الجرائد الصادرة آنذاك الجزائر وفرنسا نشرت مقالات وتحقيقات وشهادات حول هزيمة الاحتلال في منطقة (المقار) أمام مقاومة الشيخ بوعمامة الذي كان يقوم بهجمات مركزة على الجيش الفرنسي، كانت "ايزابيل أبرهاردت" كذلك قد نزلت ضيفة على زاوية الشيخ بوعمامة بقصر (فيقيق)، (المغرب الأقصى)، والزاوية (الزيانية) بالقنادسة، علما بأن قصر فيقيق الموجود على

[1] بوداود عمير، المرجع السابق، ص25.

[2] معلم سبتي، إيزابيل ابرها ردت اللغز الدائم، مطبعة عمار قرفي وشركائه، الجزائر، ط1، 2012، ص75.

الحدود الجزائرية المغربية، حوالي 5كلم عن مدينة (بني وينف)، ويوجد فيها منذ القدم زاوية الشيخ بوعمامة (زاوية سيدي عبد القادر بن محمد)، وأثناء المقاومة شكلت القاعدة الخلفية لمواجهة العدو، وتعتبر كذلك مركز قيادة جيشه، " ورفقة (سي بن الشيخ) مقدم زاوية (سيدي سليمان بوسماحة) بني ونيف، التقت ايزابيل الشيخ بوعمامة، مع عدم الإشارة إلى ذلك في كتاباتها حتى لا تتعرض للنفي أو الضغوط، ولكنها أوحت أنها كانت قريبة من محيط بوعمامة فكتبت مثلا في كتابها : " مذكرات الطريق " : "(التقيت مع السي محمد بن لمنور المدعو سيدي أحمد ابن عم وصهر بوعمامة، وأرى هذين الرجلين (أي سي بن الشيخ، وسيدي أحمد) في عمق وجهيهما اللطيفين، غوامض هذين الرجلين ذوي الروح المغلقة والإرادة العنيدة والمتوجهة نحو هدف واحد خدمة بوعمامة)".[1]

وكصحفية حصلت على تصريح من القيادة العسكرية للسماح لها بالذهاب والإقامة بالزاوية الزيانية بالقنادسة قرب بشار، وتحت اسم مستعار "سي محمود ولد علي" الشاب الأديب التونسي، والتقت بمقدم الطريقة الزيانية "سي ابراهيم بن الشيخ" وقد أقامت في هذه الزاوية مدة شهرين (يونيو، يوليو 1904) لأجل التأمل والذكر، حيث كتبت : "إنني نزلت ضيفة عند أهل هذه الزاوية، وتمتعت بصمت منازلهم ووفروا لي كل الهدوء، ظل من السلم دخل عمق روحي"[2]، تروي تفاصيل هذه الرحلة في كتابها "في ظلال الإسلام الدافئة، Dans L'ombre chaude de l'islam" وهو مجموعة من النصوص التي تصف فيها رحلتها إلى زاوية "القنادسة" حيث كانت هذه الزاوية مركز أخوية صوفية، وكان لها تأثير واسع في المنطقة، وكانت علاقات مريديها مع أتباع الزاوية القادرية التي انتسبت إليها "إيزابيل"[3] ، كان قد أوصى أحد الإخوان الزيانيين بمرافق يرافقها في هذه الرحلة، تقول : "تنتصب قنادسة أمامنا، قصر كبير مبني بالطوب الداكن اللون، تتقدمه إلى اليسار بساتين جميلة خضراء، ينساب القصر في فوضى لطيفة من الشرفات

[1] بوداود بلعرج، إيزابيل ابرهاردت الفارسية...عاشقة الثورة الجزائرية، مجلة العربي الكويتية، ع558، ماي2005.

[2] بوداود بلعرج، المرجع السابق.

[3] نفسه.

المتراكبة على منحدر مريح....."[1] بعد مراسم الإستقبال عادة القائمين بشؤون الزاوية، سقيت الرحالة إلى غرفتها التي خصصت لها.... وبعد أن خرج العبد المكلف براحتها، مدت رجليها قائلة : "سأغفو في هذه الخلوة مثل الكثيرين ممن سبقني من المسافرين"[2]

النص الأصلي :

« Aprés tant d'autres voyageurs, je m'assoupirai dans cette retraitte »[3]

في عنوان نص آخر تروي تمكن شيوخ الزوايا من التأثير في مختلف المؤسسات والتقاليد التي كانت عليها أجناس المنطقة غير أن ذلك التأثير لم يكن بالقدر الكافي في البربر المتواجدين في المنطقة فظلت "الجماعة" سيدة المواقف كلها تقول في :"النمط الصحراوي Théocratie saharienne" عادة ما تكون هذه المجالس صاخبة، يطلق فيها العنان للمشاعر والأهواء، والعنف فتنتهي أحيانا في الدم، إلا أن البربر بقوا دائما محافظين على حريتهم الجماعية، يدافعون عن أنفسهم ضد الاستبداد، ويحيدون كل من يطمع إلى ذلك"[4] ، **النص الأصلي :**

« ....Ces assemblées berbères sont tumultueuses. Les passions s'y donnent libre cours, violentent elles finissent parfois dans le sang. Pourtant, les berbères restent toujours jaloux de leurs libertés collectives ils se défendent contre l'autocratie en supprimant contre l'autocratie en supprimant ceux qui osent y aspirer ».[5]

---

[1] ايزابيل ابرهاردت، الطريق إلى القنادسة أو في ظلال الإسلام الدافئة ، ترجمة عبد القادرميهي، مطبعة مزوار، الواد، الجزائر،ط1، 2012، ص12

[2] نفسه، ص54.

[3] Isabelle Eberhardt, Dans l'ombre chaude de l'islam,op cit,p55

[4] Isabelle Eberhardt, dans l'ombre chaude de l'islam, op.cit. p55.

[5] Ibid. p90.

تقدم لنا الرحالة "إيزابيل" في ثنايا نصها تفصيلا لصورة رجل الدين شيخ الزاوية "المراط، Marabout"، يطلق الفرنسيون على لفظة "المرابو، Marabout" على شيوخ الزوايا وهي لفظة عربية المنشأ, والرحالة لا تبعد عن تلك التسمية بل وتلح في وصف الشيوخ الذين التقتهم في الزاوية بالقنادسة وقبل ذلك في كثير من اللقاءات بهم أسهبت في الحديث عنهم بل بسبب تقربها من بعضهم، تعرضت لمحاولة اغتيال في الوادي كما سبقت الإشارة إليه .

الوقار، والنبل، والذكاء، والبساطة، صفات أضفتها الرحالة على "الشيوخ" الذين استقبلوها في الزاوية تقول :"...بدأت أغمض عيني حين دخل سيدي ابراهيم، مرابو القنادسة.... حركاته بطيئة وجدية، وابتسامته لطيفة ظريفة، لا تظهر عليه أية فضاضة ....أمام مرافقه الأصغر منه فهو أيضا وجهه لطيف وابتسامته خجولة تقريبا ....أما اللباس فبسيط جدا ككل شيوخ الزاوية، عمامة بيضاء، ولباس أبيض كله يرتدي ثيابا بسيطة بيضاء ناصعة حائك (haïk) رقيق من الصوف، عمامة كبيرة دائرية الشكل......"[1]

من النص الأصلي :

« J’allais fermer les yeux quand sidi Brahim, le marabout de Kenadsa est entré….Ses gestes sont lents et graves, son sourire doux et avenant……il porte des vêtements très simples et très blancs sons un mince haïk de laine…..Si Mohamed laredj, neveu et homme de confiance de Sidi Brahim, l’accompagne…. »[2]

[1] إيزابيل ابرها ردت، الطريق الى القنادسة، المرجع السابق، ص55.

[2]Isabelle Eberhardt, op cit, p56.

تقدم لنا أيضا "ايزابيل" **صورة "للمجذوب** l'illuminé" الذي التقته في **أعلى البوقة خارج القصر**، بيته مغامرة **محظورة في الصخر** بين ركام الصخور الداكنة **تقول** :" .....يرتدي خرقة داكنة، طويل القامة ناحل الوجه أسمر طويل، **أطلق الناسك** شعره الرمادي ولحيته الفظة، أصبح نظر الناسك ثابتا، لا تكف شفتاه عن همس الادعية الروحية التي لا تنتهي، هذه الأدعية التي أخذته في حالة شرود دائمة منذ ما يقارب العشرين سنة ....ساح هذا الناسك في بلدان كثيرة بين المغرب والجزائر والصحراء حتى بلغ السودان ثم حين مل من غرور المعرفة البشرية ورتابة الأشياء، عاد إلى مسقط رأسه وانعزل للأبد في زنزانته الرمادية، من حيث لن نخرج إلا والمؤمنون يحملونه إلى **دار الصمت الأبدي" إلى بعض المقابر في الأسفل"**[1]

النص الأصلي :

« …vêtu d'une loque sombre , grand le cops décharné, avec un fin visage bronzé et émacie, l'anachorète a laisse pousser ses cheveux gris et sa barbe inculte son regard et devenu fine, et ses lèvres ne cessent de murmurer indéfiniment les mêmes invocations mystiques, qui entretiennent depuis tantôt vingt ans sa constante extase …Dans sa jeunesse, l'allumière , que la grâce de l'inconscience n'avait pas encore touché a beaucoup voyagé, au Maroc, en Algérie, dans le désert et au Soudan. Ce du être un de ces admirables voyages que, de nos jours seuls les arabes savent encore accomplir, son allant à pied de village en village en demandant le gite et le pain dans le sentier de Dieu. Puis lassé de la vanité du savoir humain et de la monotonie des choses, la saint est revenu sur le sol natal et s'est retiré, pour toujours,

[1] إيزابيل ابرها ردت، الطريق إلى القنادسة، المرجع السابق، ص66.

dans sa cellule grise, d'où il ne sortira plus que porté par croyants vers le calme définitif des vagues nécropoles d'en bas ..... »[1]

يبدو أن "إيزابيل ابرها ردت" يستهويها هذا التصوف فهي التي قطعت كل تلك المسافات في الجزائر منتقلة بين الزوايا بحثا عن السكينة الروحية والتجارب الغربية والمشاعر النادرة .

لعل من الصور التي عني بها الرحالة الأوروبيون وهم يصفون المسلمين صورتهم وهم يصلون فلطالما اجتذبتهم هذه الصورة فإيزابيل أولت في كتاباتها صلاة المسلمين كل العناية وفي هذا النص تقف على صورة مفصلة لتلك العبادة التي هي رأس العبادات المسلمين خاصة (صلاة الجمعة) فالذي يجب أن نعلمه وقد سبقت الإشارة إليه أن "إيزابيل" رحالة المسلمة تمارس العبادات المسلمين بشكل دائم فلا عجب أن نجد عنها ذلك التفصيل وتلك الدقة في وصف تلك العبادة من نص صلاة الجمعة " prière du vendredi "،"..... كان المسجد أبيض كله : الجدران، الأعمدة المربعة المزدوجة التي تسند السقف، والضوء ينزل من السقف عبر فتحة خافتا أزرقا مبعثرا يصلي أهل القنادسة والبدو على حصائر بالية إلى اليمين في مكان مرتفع فسيح يغمره نور أكثر، يرتل الطلبة وأساتذة القرآن، يكرر خلفهم الصبية درس من سبقوهم هنا وهناك يقرفص* طالب معزول ويقرأ بصوت مرتفع أحاديث الرسول".ثم تصف الرحالة مختلف الأصوات التي تختلط متناغمة يعلو بعضها. ويهمس آخر، لكن الإيقاع كله رتيب وحزين، ثم ينطفئ رويدا رويدا "...يمتد هذا النشيد المهدهد ويصعد وهو يحمل في طياته الشعور بالديمومة في جناح المسجد المدوي ... ثم فجأة، ومن أعلى المئذنة، يطلق المؤذن نداء الصلاة الثاني يبدو صوته وكأنه ينزل من فلك مجهول لأنه بكل بساطة يأتي من مكان مرتفع وغير مرئي، ثم ونحن في تلك الحالة النفسية الغريبة تجدنا دائما على حافة الروعة... يخرج الصبية متراكضين لدي انتهائهم من القراءة، فريحين، راكضين

---

[1]Op. cit, p68

يقرفص : الشخص جلس على الأرض شادا يديه تحت رجليه.

وهم يرطمون ألواحهم الخشبية التي كانوا يقرءون منها. ثم يزين على المكان سكون عميق، إنها بداية الخطبتين....من الظل أين يقع المعراب الكرة التي تدل على وجهة مكة، يصنع صوت الإمام المكسر المرتعش، يقرا الخطبة، دعاء طويل المليء نصحا وحثا على التوبة وهم بمثابة الموعظة التي نسمعها ونحن جالسون في صمت...أثناء الخطبة كان هناك رجل يقوم بعمل خيري يحمل دلو ماء بارد، يسقي كبار السن والمرضى، ثم بدأت الصلاة، يرفع الجمع الواقف اليدين إلى مستوى الوجهة ثم يتركها تنزل ويكرر خلف الإمام والشاب المرتل "□ اكبر" ننحني ثم نسجد....[1] » ثم تنتقل إلى ما بعد الصلاة تقول :"....بعد الصلاة، ارتفع الدعاء الذي كان " المرابوت " يرتلونه بإيقاع مضبوط، كان الدعاء صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، يتمتع المرابوت بأصوات جميلة وخفيضة ويعرفون اللحن القديم الذي يزيد أبيات هذه الأدعية الرنانة نبلا والتي يكتفي عامة الناس بقراءتها بسرعة وبطريقة غناء متقطعة....ثم انتهى كل شيء، وليتها الصلاة لم تنتهي"[2] تعلق "إيزابيل" التي كانت مأخوذة بروعة المشهد وبروحانيته :"يبدو لي أن جوهر الصلاة مثل الحلم هو ألا تنتهي"[3]

النص الأصلي لـ"صلاة الجمعة، Prière du vendredi"

«…Tout et blanc et nu dans ce très vieux asile saharien, les murs, les lourds piliers carrés et accouplés qui supportent le plafond en vielles poutrelles de dattier rogneuses. Un jour tamisé diffus, tombe d’en haut par des « regards » fendus, qui font des trainées bleues dans l’ombre… Et tout ces voix. Les graves des hommes, quelques-unes très pures et très belles qui dominent les autres, et les voix claires des enfants se mêlent en un grand murmure confus,

[1] إيزابيل ابرها ردت، الطريق إلى القادسية، المرجع السابق، ص78.
[2] نفسه ، ص نفسها.
[3] نفسه، ص 78.

sur un aire monotone et mélancolique, aux finales tombantes… puis, tout à coup, là haut, sur le minaret, le moueddhen clame son second appel. Sa voix semble descendre des sphères inconnues, simplement parce qu'il est très haut et parce qu'on ne le voit pas. Et d'ailleurs, ici, par une singulière disposition d'esprit, nous sommes toujours sur la marge du merveilleux… De l'obscurité où s'enfonce le mihrab, la voix cassé et chevrotante de l'imam s'élève. Il lit la Khotba la langue prière mêlée d'exhortations qui tient lieu de sermon et qu'on écoute assis et en silence… Pendant la khotba, encore des instants de rêve vague, de grand calme doux… un homme en chemise blanche… porte un seau d'eau fraiche et une tasse malades. C'est une œuvre qu'il s'impose ainsi tous les vendredis, un dernier appel du moueddhen, et le vieil imam termine sa lecture et commence à prier… la prière finie, je reste avec les tolba et les marabouts, qui psalmodient encore les litaniers rimées du prophète… C'est fini … On se lève, et chacun reprend ses babouches déposées sur les nattes et renversées ses l'une sur l'autre… »[1]

في موضع آخر، تصف "إيزابيل" شعورها بالطمأنينة بعد أداء صلاة المغرب اثر يوم صيفي قائظ، حين افترش كل برنسه المبسوط على الرمل، وأخرج السبحة يمرر حباتها ذاكرا □.

[1] Op, cit, p78.79.80.

تقول عن هذا الشعور: " أن نكون في صحة جيدة، أنقاء، من كل دنس، بعد حمام بالماء البارد، أن نكون بسطاء ونمتلك عقيدة لا ريب ولا شك فيها، أن ننتظر بلا خشية وبصبر الساعة المحتومة، ساعة الدخول إلى الأبدية، تلك هي الطمأنينة تلك هي سعادة المسلم، ومن يدري ربما هي الحكمة نفسها."[1]

في أثناء توقفها ب"سيدي بوجمعة" المحطة التي تشرف على طريقي "بني ياهو" و"صفيصيفة"، كانت هناك جنازة لأحد أموات المسلمين كتبت نص عنوانه: "جنازة مسلم، Mort Musulmane"، تقول: "من أعلى الكثيب يظهر موكب من العرب يتقدمون ببطء ويؤدون غناء إيقاعيا، خلف المجموعة الأولى، يحمل أربعة رجال، على أكتافهم نقالة يكسوها غطاء أبيض عريض، حين ظهر هذا المؤمن المجهول الذي يذهب إلى الحياة الأبدية في الصباح المتألق سكتت كل الأصوات "2، ثم تضيف وبالتفصيل تشييع الجنازة، تقول:

"....دخل حاملو النعش المقبرة التي لا سياج لها وبدأت عملية الدفن بين القبور المنثورة على الكثيب، بين الأحجار التي لا اسم عليها ولا تاريخ، حفر الرجال القبر بسرعة شديدة في الرمل ووضعوا الجثمان، على حافة هذه الحفرة الصغيرة، مقابلا للشمس ...أنهى المجتمعون في المقبرة صلاة الجنازة وبدأت موارة الجثمان التراب ...بسرعة شديدة، على صف من القرميد، ردمت الحفرة ووضعت ثلاث جريدات خضراء على كومة الرمل التي بدأت النسمة الندية في مسحها ...هكذا انتهت حياة كانت غضة عامرة بالحياة والأمنيات" [2]، تعلق الرحالة بشيء من الصوفية و الوجد العميق، وإدراك لمعنى الحياة الدنيا على الموقف "....ذهب الجميع ...ما أبسط أن نموت "[3]، ضف إلى ذلك تنقل ما حدث بعد الجنازة كان شيخ "عبد اللالي" وهو إنسان مغربي ورجل دين يردد عبارات، ترجمتها بالدارجة الجزائرية :

---

[1] ايزابيل ابرهاردت، الطريق إلى القادسية، المرجع السابق، ص154.

[2] نفسه، ص 19.

[3] نفسه، ص 20 .

"راني مت خرجت روحي مني

بكاو عليا دموع النهار التالي

ربعة رجال رافديني فوق كتافهم

ناطيين ايمانهم لله الواحد

داوني حتى للمقبرة

صلاو عليا بلا ما يمنوا

آخر صلاة في هاذ الدنيا

قاصو عليا التراب

صحابي راحوا كاللي في حياتهم ما عرفوني

بقيت وحدي في القبر

وين ما كين لا فرحة لا حزن

ولا شمس ولا قمر" [1]

فضلت أن أترجمها بالدارجة لسببين الأول هو أن "إيزابيل" قد أدرجت كثير من الكلمات العربية في كتاباتها وحتى بالدارجة الجزائرية، فقد أحصى "محمد رشد" في كتابه "السفر الأخير في الظل الدافئ للإسلام" أكثر من 100 كلمة على مستوى الكتابات الأخيرة لها فقط[2] والسبب الثاني هو أن الدارجة تبقى عميقة وقادرة على إيصال الفكرة واستيعاب المعنى، والنص الأصلي :

[1] ترجمة شخصية.
[2].بودواد عمير، المرجع السابق، ص28.

"Le premier soleil du matin s'épanouit à l'horizon, ….Derrière le premier groupe, quatre hommes portent sur leurs épaules un brancard recouvert d'un long drap, et à l'apparition de ce croyant inconnu, qui s'envient vers l'éternité, dans la gloire du matin, tous les bruits se taisent. Alors les hommes entrent dans le cimetière sans clôture …. Très vite, sur une simple rangée de briques, on remblaie la fosse, et on plante trois palmes vertes dans le sable du tertre que la brise fraiche entame déjà-tout le monde s'en va.

A côté de moi, si Abdelali, un lettre de Marrakech, se met à chanter à mi-voix une complainte ancienne sur le sort de ceux qui ne soit plus[1].

Voici : je suis mort, mon âme a quitté mon corps,

On a pleuré sur moi les larmes du dernier jour

Quatre hommes m'ont pris sur leurs épaules,

En attestant leur foi au dieu unique.

Ils m'ont porté jusqu'au cimetière,

Ils ont prié sur moi la prière sans prosternation,

La dernière des prières de ce monde.

Ils ont rejeté sur moi la terre,

Mes amis sont partis comme s'ils ne m'avaient jamais connu,

[1] Op cit, p17.

Et je suis resté seul dans les ténèbres de la tombe où il n’y a ni joie, ni chagrins, ni lune, ni soleil [1]

يأتي الدور على الموسيقى فهي لا تعزف في الأعراس فقط، وإنما قد تعزف وتسمع في غير تلك المناسبة، "العيساوة" نوع من أنواع هذه الموسيقى التي أثارت إعجاب "إيزابيل ابرها ردت"تصف هذه الحفلة العيساوية :"...إذ في ليلة من ليالي القصر الصيفية الندية تناهت إلى المسامع دقات الطبول تصحبها "الغيطة" ومعها تتعالى الأغاني بطيئة.......الأجسام تترنح مبللة في إيقاع يزيد بسرعة تدريجيا فوق مواقد الفحم الملتهبة من أين تصعد رائحة "الجاوي" وهو الصبر المغدرة ....الأجسام تتلوى تتهاوى مخدرة، إنها تبحث عن النسيان والنشوة، ينضم إلى المخدرين جمع من الزنوج، يعني الأفارقة لا شعوريا، نشيدا عظيما للحب والخصوبة الأبدية، يا لها من موسيقى تدمي القلب في صمت، تلك التي همستها الشفاه.... شفاه غائبة ترتوي من نبع غير نبعي، وتستنشق عطرا غير عطري......."[2]

أخيرا،

في نصوص كثيرة عبرت فيها الكاتبة "إيزابيل ابرها ردت" عن مشاعر صادقة كثيفة ، وساطعة بنور داخلي بطيء على اختلاجات الروح الإنسانية الكئيبة الباحثة عن طمأنينة بعيدة المنال كما عبرت عن يقظة عميقة فتحت فيها عينيها على ما يدور حولها، مراقبة عن كتب حركة الناس وسلوكياتهم وسيماء وجوههم، وبخلفية "انثوبولوجيا" وصفت التقاليد والأعراف واللياقات الجسدية والعلامات الفارقة للأعراف والأجناس واللهجات المختلطة بين القبائل والطبائع والأحوال والأصول الاجتماعية والتاريخية وتبنت "إيزابيل" القيم والعادات السائدة في المجتمع الجزائري، فكانت على خلاف ما هي عليه نظرة السائح الذي ينغلق في وجهه عالم البرانس والعمائم، مهما اتصفت ملاحظاته

---

[1] Op cit, p16.

[2] إيزابيل ابرها ردت، الطريق إلى القادسية، المرجع السابق، ص105.

بالانتباه والذكاء إذ ليس بالمستطاع بلوغ حقيقة هذه الحضارة وتجلياتها إلا لما عايشها داخليا واستنبط مشاعر أهلها وأدرك حقيقة بواطنهم..

لم يكن طريق "إيزابيل" وتجوالها حركة في المكان فحسب ، إنما كان معراجا روحيا ورحلة جوانية، حركة أفسحت المجال لتنشيط ذهنها التأملي وهي تجتاز هذه القفار والأمداء اللامحدودة.

في بحثها عن التجارب الغربية والمشاعر النادرة، أحبت الصحراء، فوصفت في سمفونية من الأضواء والألوان والعطور كائناتها وكثباتها وطيورها وخطوط رمالها اللاذعة ومساربها المضنية وسرابها المائي الخادع، وأيقظت قمم الجبال والصخور من غفوتها الحجرية، وأضاءت سماءها المتموجة المتقزحة بألف طيف لوني، بحث عن حمال الأرض الجزائرية والمسحة الحزينة على وجه الصحراء، إذ ميزت بعض المدن الجزائرية، إنما آثرت دائما أحياء المدينة القديمة الراسخة في أصالتها (بوسعادة) على الأحياء الحديثة، أرادت "إيزابيل" أن تعيش مجازفاتها كرحالة ومتشردة ومقاتلة ومراسلة صحافية على الحدود الجزائرية المغربية حيث شكل الموضوع الإسلامي، أو بالأحرى الانبهار بهذا الإسلام الباطني الصوفي في ظروف الاحتلال الفرنسي بؤرة كتاباتها من مقالات وقصص وروايات ومذكرات.

اصطبغت أيام "إيزابيل ابرها ردت" وأفكارها بالحياة الإسلامية الإسلام هو الذي يسلم روحها الملتهبة لاسيما الإسلام الصوفي من دون تجردها هذه الحماسة وذلك الشبوب العاطفي حياله، من موضوعيتها وحسها النقدي، حيث أخذت على العديد من المسلمين جلافتهم وجشعهم ووقاحتهم.

وعلى عكس ما درج عليه الصوفيون ، لم تنعزل"إيزابيل" في زاوية أو مقام ولي بل رأت العيش في الطبيعة وزمالة الرجال والنساء تجسيدا واختبارا لهذه الأحاسيس الصوفية العميقة. ولم تلتزم نسك الجسد، ونبذ الملذات، بل مارست حياتها بعفوية وطلاقة، زارت الزوايا فوجدتها مؤسسات لتوزيع الصدقات على آلاف الفقراء والمساكين، لا مدارس لتخريج المتعصبين المتطرفين.

على ما يبدوا أن ما يتجلى في كتابات "ايزابيل" وخواطرها هو التلذذ بالألم، وهذه الاحتفائية الغريبة بالموت وأنغامه الحزينة والعذبة، ووصف المقابر وأجوائها الكئيبة الجنائزية وقد أوصت أن تدفن في أرض الصحراء اللاهبة بعيدا من فساد الحضارة الأوروبية..

الخاتمـــــة

ما عسانا أن نقول في باب الخاتمة إلا ما يتعلق بمقام الخاتمة وهو الحكم القائم على مبدأ الانفتاح لا الانغلاق، الشمولية لا التعقيدية ، فمن أهمية ما استطعنا أن نستكشفه من أبعاد معرفية ومنهجية أن في المجتمعات الإسلامية وغيرها نجد ظاهرة التصوف، وحسب الباحثين شكل ظاهرة متميزة وفعلا إنسانيا واجتماعيا إلى جانب كونه تجربة ذوقية تعود في أصولها إلى إحتوته تجارب شعوب العالم قبل الإسلام التي عرفت هذا التجربة الروحية اعتقاد أو ممارسة ليتلون بصيغة إسلامية إستنادا إلى النص والعقيدة الإسلامية، حيث أضاء وأينع تجربة خاصة في السلوك.

والمجتمع الجزائر كغيره من المجتمعات الإسلامية لم يشذ عن هذه الظاهرة بل تأثر بها خاصة في القرن 15م وما بعده حيث انتشرت حركة التصوف بصيغة الطرقية أي كما يبدوا في الطرق الصوفية اليوم، الذي يختلف اختلافا بينا عن التصوف النظري الفلسفي كما صاغه أقطاب التصوف الإسلامي ولعل التحول المهم في الفكر الصوفي يتمثل في بداية مأسسته منذ أن أصبح التصوف مجموعة من الطقوس المكونة من الأفكار والأوراد الدورية التي تقام في الزوايا. وقد أسس المتصوفة وأتباعهم زوايا خاصة بهم سلمت لهم الدعوة إلى طريقتهم وبالتالي ظهور التصوف الطرقي حيث انفصل التصوف عن علوم الدين وتميز بالحضرة والأفكار والأوراد والاعتقاد في الخوارق أو كرامات الأولياء، وقد لقي مزيدا من الانتباه من قبل الباحثين الغربيين إلا أن دراسة تطور الفرق وكتاباتها ومعتقداتها وممارستها والتي كانت تعبيرا موضوعيا عن التصوف لم يحاولها إلا القلة القليلة، والتصوف عمليا طريقة وهي طريقة التطهير وهذا ما جعل فارسة الرمل ترك الحياة الارستقراطية وتعانق الصحراء الجزائرية بسبب شغفها بالحياة بقدر ما تهجس بالموت، حتى غدت مشهدية الأضرحة مكونا أساسيا من مكونات أسلوبها وعناصر وصفها : أثرت أن تعيش حياة البداوة وتجد في الإسلام ضالتها على الرغم من تناقضاتها المحتدمة ، وتربيتها الموضوعية التي لا تؤمن بالمؤسسات والأنظمة والقوانين، وتحديدا وجدت في الإسلام الباطني الصوفي ملاذها الأخير، وعاشت معه لحظات الافتتان الوجدي، لحظات الاستغراق بالمطلق واللانهائي، ولا غرابة في أن

تتملك المرء الدهشة وهو يرى الفيض من النصوص واليوميات والنصوص الغزيرة التي حررتها "إيزابيل إبرها ردت" وتبعث في نفسه طمأنينة وأنسا يجعلانه يرغب في العيش وسط تلك القصور التي وصفتها، غير ذلك تبقى صورة غارقة في الحكم والصوفية وكأن المجتمع الجزائري لا يعاني إستعمارا، ربما يرجع ذلك إلى تعلق الرحالة بروحانيات مجتمعات الزوايا وصوفيتها.

-اِرتدت زي الرجال، وهذا الخيار ربما كان عارضا من عوارض الأندروجين (إزدواجية الجنس) الذي تهتم به السيكولوجيا. إلا أن الدافع هنا على ما باحت به الكاتبة، مرده ليس التماهي مع الرجل، بل اتخاذ لباسه وسيلة، أو جواز مرور إلى عالم موصد عادة أمام المرأة، لا يمكن لإيزابيل أن تصل إلى ما تبتغيه إلا عبر هذه الحيلة في مجتمع عربي إسلامي تتحكم فيه النظرة الذكورية.

- يمكن القول أن كتابات "إيزابيل" تخفي روحا متعطشة للعدل، وروحية الإسلام، حيث يجب التنويه إلى أن "إيزابيل" ألمت بثقافات ثلاث هي: الفرنسية والروسية والعربية، وشكل هذا النمط الثقافي التقاطع الخصب نمطا فكريا مركبا وأحدث بلبلة وأضاع السبيل والهدف، لذلك لم يكن طريقها وتجوالها حركة في المكان وحسب، إنما كان معراجا روحيا، ورحلة جوانية، يقول "روبرت راندو": " إن غرق إيزابيل ابرها ردت كان أقرب إلى الانتحار، أو إلى حالة تماثل الاستسلام الصوفي لنشوة الذوبان في لجة المياه، و الانحلال في ذرات الكون"، وبهذه الصورة التي يفترضها "راندو" يزول كل حد بين الحقيقة والخيال، حدّ سعت "إيزابيل" طوال حياتها إلى محوه وإعادة صهر العالم في بوتقة واحدة من دون تمييز، ومن دون فواصل بين عناصره وكائناته.

قائمة
البيبليوغرافيا

- القرآن الكريم، برواية ورش، دار اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، دمشق، 1983.

أولا : القواميس، المعاجم والموسوعات :

1- ابن منظور لسان العرب، دار المصادر بيروت، ط1، 200.

2 - ابن فارس، مقاييس اللغة، تح : عبد السلام هارون، دار الفكر، ج2، بيروت، دط، 1987.

3 - المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004.

4 - الموسوعة الحديثة، الدرر السنية، تطبيق رسمي.

ثانيا :المصادر :

1-ابن الجوزي، تلبيس إبليس، مطبعة دار الكتاب العلمية، دت.

2-إيزابيل ابرها ردت، الطريق إلى القنادسة أوفي ظلال الإسلام الدافئة، تر، عبد القادر ميهي، مطبعة مزوار الواد، الجزائر، ط1، 2012.

3-إيزابيل ابرها ردت، نجيب اللوز، تر، حسن دواس، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة إبداعات عالمية، ع39،ط1، الكويت، 2012.

4-إيزابيل ابرها ردت، ياسمينة وقصص أخرى، تر بوداود عمير، دار الكتب القطرية، ع96، الدوحة، قطر، 2015.

5- أبو القاسم القشيري ، الرسالة القشيرية، (سيرة ذاتية ومنهاج ومفاهيم صوفية لأقطاب التصوف الإسلامي)، تحقيق محمود بن شريف، مطابع دار الشعب للطباعة والنشر، 1989.

6-جمال غلاب ، الأعمال الشاملة لإيزابيل ابرها ردت، ج1،ج2، د ت

ثالثا :المراجع :

1-ابن تيمية تقني الدين، المعجزات والكرامات وأنواع خوارق العادات ، تحقيق أحمد العيسوي، دار الصحافة، التراث والنشر والتحقيق والتوزيع، القاهرة 1990.

2-ابن خلدون عبد الرحمان ، المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2004.

3 -أجوليان شارل أندري ، إفريقيا الشمالية تسير، ترجمة المنجي سليم وآخرون، مراجعة، فريد سوباني، الدار التونسية للنشر، 1976،

4- عبد القادر الجيلالي ، السفينة القادرية، مكتبة المنار، تونس ب ت ط

5-الهجويري، كشف المحجوب، تحقيق ، إسعاد عبد الهادي قنديل، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، لبنان 1990.

6- يحي هويدي، تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية، ج1، في الشمال الإفريقي، مكتبة النهضة ، القاهرة، 1465،

7- محمد الزياتي، دليل الجيران وأنس السهران في أخبار ولاية وهران، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

8- علي حرازم بن العربي براده، الإرشادات الربانية بالفتوحات الالاهية من فيض الرحمة الأحمدية التيجانية، مطبعة السعادة، مصر 1928.

9- عبد الرزاق الكيلاني ، الشيخ عبد القادر الجيلاني ، الإنام الزاهد القدوة دار العلم، بيروت، ط1، 1994.

10- السراج الطوسي ، اللمع، حققه وأخرج أحاديثه عبد الحليم محمود، وعبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة، مصر، 1960.

11-ماسينيون ومصطفى عبد القراوق، التصوف، دار الكتب اللبناني، للطباعة والنشر، 1984.

12-مجموعة من المستشرقين، دائرة المعارف الإسلامية (البريطانية) ترجمة أحمد الشنتاوي وإبراهيم خورشيد، ج15، دار المعرفة بيروت، د ط.

13-محمد سعيد إسماعيل ابن السيد، الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004.

14-مراد سعيد، الفرق والجماعات الدينية في الوطن العربي قديما وحديثا، عين الدراسات والبحوث الإنسانية الاجتماعية، مصر، 1997.

15-المعموري الطاهر ، الغزالي وعلماء المغرب، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1980

16-نيكلسون، الصوفية في الإسلام، ترجمة وتعليق نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي، مصر 1951.

17-السهرودي، عوارف المعارف، منشورات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998.

18-صهيب سعران ، مقدمة في التصوف، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، بيروت، 1989

19-فيلالي مختار الطاهر، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر خلال العهد العثماني، دار الحق الغرافيكي للطباعة والنشر، باتنة ، الجزائر، 1976

20- عبد الله التليدي ، المطرب في مشاهير أولياء المغرب، مؤسسة التغليق والطباعة والنشر والتوزيع، المغرب، 1984.

19-ترمنجاهم سبنسر، الفرق الصوفية في الإسلام، تر : عبد القادر البحراوي، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1997

21-أحمد الخطيب ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في المجتمع الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

22 علي الخطيب ، في رياض الأدب الصوفي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1970.

رابعا : المجلات الدوريات والصحف :

1- بوداود بلعرج، إيزابيل ابرها ردت.. عاشقة الثورة الجزائرية، مجلة العربي الكويتية، ع558، ماي، 2005

2-يحي بوعزيز، أوضاع المؤسسات الدينية في الجزائر خلال القرن 19، 20، مقل بمجلة الثقافة، ع63، ماي، جوان، وزارة الثقافة، الجزائر، 1981

3-الوزاني التهامي، الزاوية، ج1، منشورات مكتب النشر، مطبعة الريف، المغرب، 1974.

4-زين الدين أحمد، إيزابيل ابرها ردت أغوتها الصحراء ووسمت أدبها، مجلة الحياة 31 تشرين الأول، 2013..www.alhayat.com/details/567269

5-إبراهيم مياسي، لمحات من جهاد الشعب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2007.

6-مسعود العيد، حركة التعليم في الجزائر حلال العهد العثماني، مجلة سيرت، ع3، ماي، 1980.

7-نابتي علي، موقع فارسة الرمال إيزابيل ابرها ردت، 2017/05/01

8-عبد القادر العثماني، الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان الأزهري، مجلة الإمام مالك، ع4، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2002.

9- بشير خلف، الطريق إلى القنادسة.....أوفي ظلال دافئة2013/03/21. 32743: www.asuat.alchamal.com/ar/ ?p/988 a

10-خميسي ساعد، تأثير أبي مدين في فكر وتصوف محي الدين بن عربي منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2007.

خامسا : المذكرات والرسائل الجامعية :

1-بوغد يرى كمال، الطرق الصوفية في الجزائر الطريقة التجانية نموذجا، دراسة انتروبولوجية بمنطقة بسكرة رسالة دكتوراه، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، جامعة سطيف 2، 2014،2015

2-ماجدة القاسمي الحسني، الطريقة الرحمانية أركانها وأصولها، دراسة تحليلية نقدية، رسالة ماجيستر، جامعة الجزائر2000.

سادسا :المصادر الفرنسية :

1/Eberhardt Isabelle, dans l'ombre chaude de l'islam, édité et arrangé par Victor Barrucand, www.ebooks-bnr.com

2/ Eberhardt Isabelle, écris sur le sable (récit et notes, journaliers), œuvres complète, paris, Grasset.

3/louis Rinn, Marrabouts et Khouans, étude sur l'islam en Algérie, Adolphe Joudan, Alger, 1884.

المراجع الأجنبية :

1/Isabelle Eberhardt, pleurs d'amandiers, édité pan Guézou, Bibliothèque numérique, 1997.

2/Jean Mirante, la France et les œuvres indigènes en Algérie (publication du comité national métropolitain du centenaire de l'Algérie.

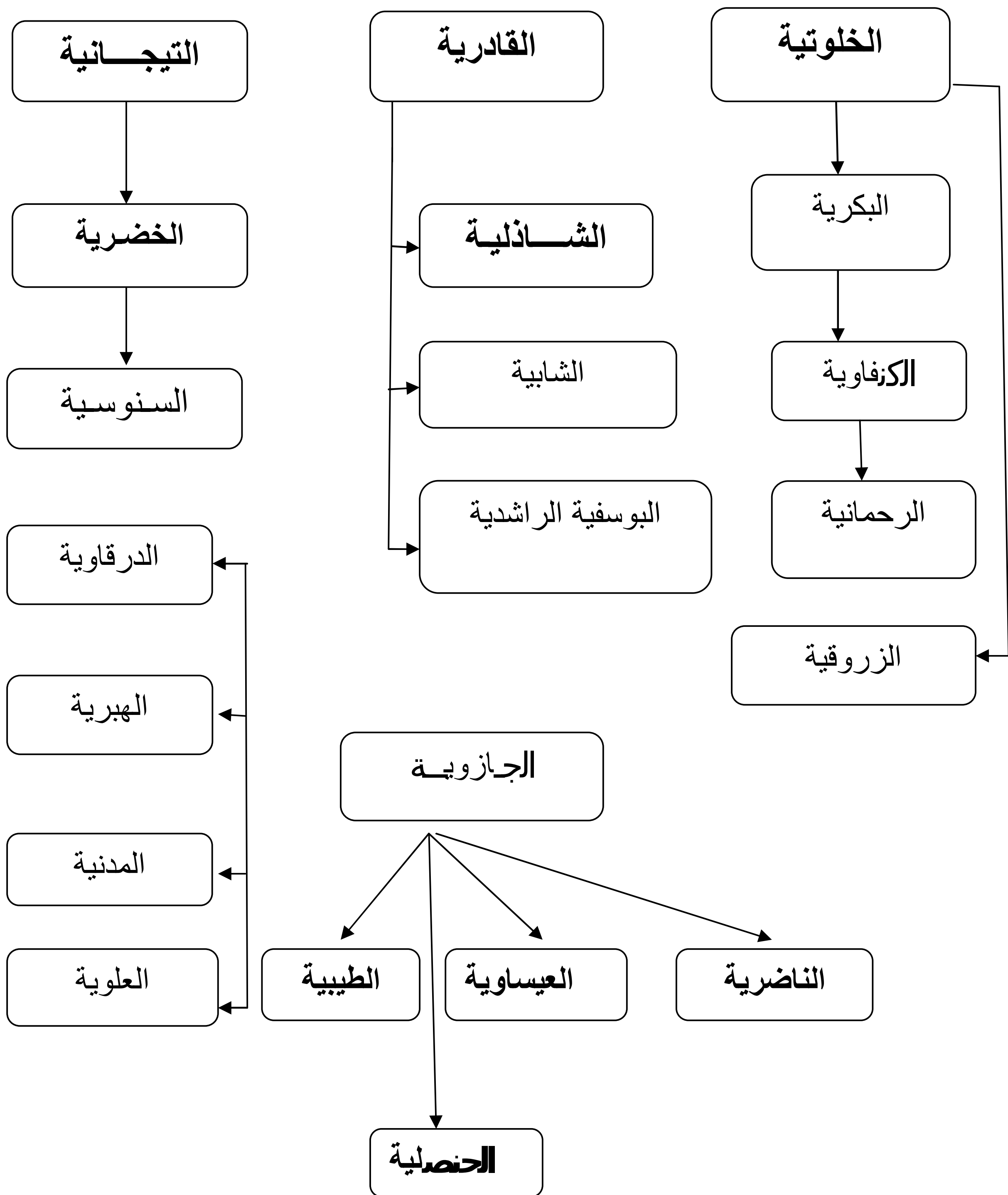
4/Geertz clifford, hilred Geertz, and laurance rosen, 1979, meaning and order in Moroccan society: the essay in cultural anlysis, Cambridge, university press.

ثامنا :المواقع الالكترونية :

http://www.alarabiya.net/article/2006/11/29/29482.

http.www.saaid.ned/ferrage/matbalb/22.htm

الملاحق



الملحق رقم 1: الطرق الصوفية وفروعها في المغرب الإسلامي.



الملحق رقم 2: المقر الأعلى للطريقة القادرية

الشيخ محمد الهاشمي (جالسا) نائب الطريقة القادرية في الوادي (سوف)
وأخوه محمد الطيب مقدم الطريقة في ورقلة سنة 1900



الملحق رقم 3: الشيخ محمد الهاشمي"**جالسا**" نائب الطريقة القادرية في الوادي، وأخوه محمد الطيب مقدم الطريقة بورقلة سنة 1900.



الملحق رقم 4: الزاوية الرحمانية لمسجد سيدي الشيخ عبد الحفيظ -بسكرة-



الملحق رقم 5: الزاوية الكبرى العلاوية الدرقاوية الشاذلية –مدينة مستغانم.



الملحق رقم 6: إيزابيل ابرها ردت



الملحق رقم 7: إيزابيل ابرهاردت بزي الفارس العربي.



الملحق رقم 8: ايزابيل عمرها 18 سنة، كانت طالبة في جامعة جيرا –سويسرا.



الملحق رقم 9: إيزابيل ابرها ردت



الملحق رقم 10: ضريح ايزابيل ابرهاردت



الملحق رقم 11: القنادسة

الحمد لله   وصلى الله على المصطفى

الى حضرة الغايب العزيز علينا المحبوب
المشوق الحبيب نور عيوننا وسعد قلبنا وسرور
فوادنا مولانا وسيدنا وزوجنا ذاك سيدي
سليمان بن يلة السلام التام عليك ورحمة
وبركاته ونعمته ومغفرته على الدوام آمين
وبعد فقد بلغني جوابك ووجدت ما فيه وفرح
قلبي به بان ما كتبته لي في كامل بفلك وتقول
لي بعض امور الذين لم يجيهم احد وهذا ان فـ
واحد وعشرين من الابريل بغير خبار من عندي وجواب
بتاريخ (19) ولكن في جوابك من (14) تقول
ان بلغوا عليك بعض جوابات بلا سلاك وانت
راك غايب علينا الا مرة عشرين يوم ووقت
ايش جازوا هولاء الواحد وعشرين يوم الذين ذكرت
لي في جوابك واعلم ان رسلت لك جواب نهار الثـ
(11) في شهر ورسلت لك كذلك جواب نهار الخميس
في شهر وبعثت لك ايضا جوابين نهار السبت
واسمر وبعد ذلك تقول لي ان ماتقدر تبعث
الجوابات المعلومين على خاطر راك مشغول بسر بيسع
ولكن الجوابات فرموا على نهار (18) مع جوابك من
وايضا تعلمني ان بلغوا لك جوابين واحد من قبل
اكتوبر والاخرة الخرجة وان رسلتهم لي مع جواب
ولكن ما وجدتهم بيده ورايت علامة بصناعتك انعم
ووجدت من جوابك انه مكتوب في وقت
السكرة وراك وجعت قلبي كثير بذلك وراني
نبكي بانك حلفت لي ان ما تسكر شي ابدا
وتلك الحلفة بفضل القران الحكيم وشيخنا العز

وابد

الملحق رقم 12: رسالة لإيزابيل مكتوبة بخط يدها.

فهـرس الموضوعات